اصدار اتحاد القوى الشعبية

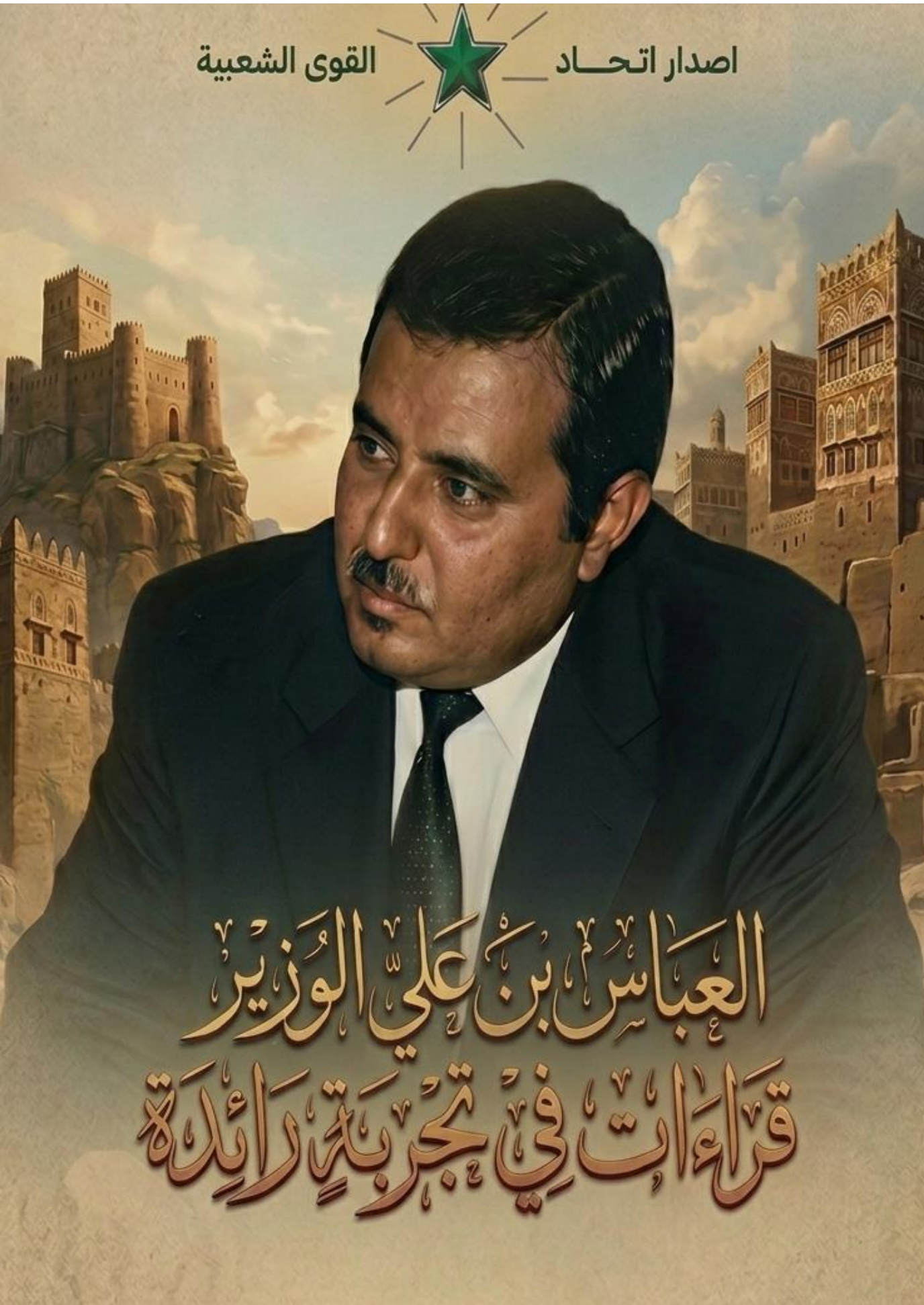

العباس بن علي الوزير

قراءات في تجربة رائدة

العباس بن علي الوزير

قراءات في تجربة رائدة

اصدار اتحـــاد القوى الشعبية

١٤٤٨هـ / ٢٠٢٦م

العباس بن علي الوزير

قراءات في تجربة رائدة

مقدمة

ليست مهمة هذا الكتاب أن يروي سيرة رجلٍ عابر في التاريخ، ولا أن يوثق محطات حياة شخصية سياسية أو اجتماعية فحسب، بل إنه محاولة للاقتراب من تجربة إنسانية ووطنية نادرة، لرجلٍ تجاوز حدود المكانة والنسب والجاه، ليصنع من حياته مشروعاً متكاملاً في التضحية والعطاء والإصلاح.

ومن وجهة نظري، فإن هذا الكتاب يتحدث عن أحد أعظم الشخصيات اليمنية في العصر الحديث، لولا أن الموت غيّبه عنا. فالتاريخ اليمني المعاصر عرف رجال سياسة، وقادة فكر، وشخصيات اجتماعية كثيرة، لكنه قلّما عرف رجلاً جمع بين الفكر والزهد، وبين الشجاعة والتواضع، وبين القيادة وخدمة الناس، كما اجتمعت في شخصية العباس بن علي الوزير.

لقد كان بإمكانه أن يعيش حياة مختلفة تماماً؛ حياة مريحة مستقرة، تحيط بها المكانة الاجتماعية والنفوذ والوجاهة، سواء في صنعاء أو خارج اليمن، حيث توفرت له أسباب العيش الرغيد، والعلاقات الواسعة، والحضور المؤثر في أكثر من بلد. لكنه اختار طريقاً آخر، طريقاً شاقاً لا يسلكه إلا أصحاب الرسالات الكبرى. ترك حياة الرفاهية بإرادته، واختار أن يعيش في الشعاب والجبال داخل خيمة بسيطة، بعيداً

عن مظاهر الترف، مكتفياً بأبسط الطعام، متنقلاً بين القرى والناس، حاملاً همومهم، ومؤمناً أن قيمة الإنسان الحقيقية فيما يقدمه لوطنه وللضعفاء والمحتاجين.

وحين يقرأ القارئ صفحات هذا الكتاب، سيجد نفسه أمام تجربة استثنائية لرجل لم يكن مشروعه مجرد شعارات أو خطابات، بل كان مشروعاً عملياً تجسد في الميدان. فقد عاش قريباً من الناس، يشاركهم معاناتهم، ويسعى لإصلاح ذات البين، وحل النزاعات القبلية، وشق الطرقات، وحفر الآبار، وبناء روح التكافل بين أبناء المجتمع، مؤمناً أن التنمية الحقيقية تبدأ من الإنسان، وأن نهضة الأوطان لا تصنعها الكلمات وحدها، بل تصنعها الإرادة الصادقة والعمل والتضحية.

لقد حمل العباس الوزير فكراً وطنياً وإنسانياً عميقاً، وكانت نظرته لليمن تتجاوز الحسابات الضيقة والانقسامات الصغيرة. كان يرى اليمن وطناً يستحق أن يُبذل من أجله العمر، وأن يُضحى من أجله بالراحة والمكاسب الشخصية. ولهذا ظل حاضراً في القضايا الوطنية والفكرية والاجتماعية، لا يبحث عن سلطة، ولا يسعى إلى شهرة، بل كان يبحث عن أثرٍ يبقى في الناس، وعن قيمةٍ يعيش من أجلها.

ومن يتأمل سيرته سيدرك أن ما ميّزه لم يكن فقط فكره أو تاريخه النضالي، بل تلك الروح الإنسانية الكبيرة التي جعلته قريباً من الفقراء والبسطاء، يشعر بمعاناتهم وكأنها معاناته الشخصية. ولذلك لم يكن غريباً أن يترك في قلوب الناس هذا القدر

الكبير من المحبة والوفاء، وأن تتحول ذكراه إلى رمز للصـــدق والنبل والزهد والعمل المخلص.

لقد واجه ظروفاً قاسـية، وتقلبات سـياسـية واجتماعية معقدة، وعاش مراحل مليئة بالصـراع والتحولات، لكنه ظل ثابتاً على مبادئه، مؤمناً بأن الإنسـان الحقيقي هو من يبقى منحازاً للحق والعدل مهما كانت التضـــحيات. ولهذا لم تكن حياته مجرد رحلة شـخصـية، بل كانت تجربة فكرية وإنسـانية ووطنية متكاملة، امتزج فيها الألم بالأمل، والفكرة بالفعل، والمعاناة بالعطاء.

وفي هذا الكتاب لا نجد مجرد رثاء لرجل رحل، بل نجد قراءة لتجربة رائدة، وتجسـيداً لنموذج نادر من الرجال الذين يعيشـون لأجل الناس لا لأجل أنفسـهم. رجال يتركون خلفهم أثراً أعمق من المناصـب، وأبقى من المكاسـب، لأنهم يزرعون حضورهم في القلوب قبل أي شيء آخر.

إن الحديث عن العباس بن علي الوزير ليس حديثاً عن فرد فقط، بل عن مدرســة كاملة في الأخلاق والزهد والالتزام الوطني والإنســاني. مدرســة تؤمن بأن خدمة الناس شــرف، وأن القرب من البســطاء قيمة، وأن الوطن لا يبنى بالمصــالح الضيقة، بل بالتضحية والعمل والإخلاص.

ورغم أن الموت غيّبه عن الأعين، إلا أن سيرته ما تزال حية في ذاكرة اليمنيين، تتناقلها الألسن، وتحفظها القلوب، وتستحضرها المواقف. فبعض الرجال لا ينتهي حضورهم بالرحيل، لأنهم يتحولون مع الزمن إلى معنى، وإلى رمز، وإلى ذاكرة وطن.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب، بوصفه محاولة لحفظ هذه التجربة الإنسانية والوطنية الفريدة، وتقديمها للأجيال القادمة، حتى تدرك أن اليمن لم يكن يوماً خالياً من الرجال العظماء، وأن في تاريخه المعاصر نماذج استثنائية آمنت بالإنسان والوطن، وعاشت من أجل القيم والمبادئ لا من أجل المصالح والمكاسب.

لقد رحل العباس بن علي الوزير جسداً، لكن أثره بقي ممتداً في الطرقات التي شُقت، وفي الآبار التي حفرت، وفي القلوب التي أصلح بينها، وفي النفوس التي ألهمها معنى العطاء والزهد والوفاء. وتلك هي الحياة الحقيقية التي لا تنتهي بالموت، بل تبدأ بعده في ذاكرة الناس وضمير الوطن.

إبراهيم علي الحسيني

أمين أمانة الفكر والثقافة

باتحاد القوى الشعبية

هـــذا أخـــي وقدوتـــي

المفكر الأستاذ/ زيد بن علي الوزير

رئيس المجلس الأعلى لاتحاد القوى الشعبية

لن أكتب تاريخه، فلي معه مجال أخر، ولكني اكتب عن أعماله، واعماله كلها –أو قل معظمها– جليلة. ويأتي هذا الجلال من خصال تميز بها، وتمسك بتطبيقها طيلة حياته، ويمكنني أن أقول بثقة وعن علم وخبره: أن شعوره بظلم الإنسان للإنسان مفتاح شخصيته، منذ أن عرف نفسه، فكان كلما لقي جائعا إلا اطعمه، ولا عريانا الا كساه.

ومن الطبيعي– وهذه بعض خصاله– أن يكون متواضعاً إلى حد أنه لا يُعرف بأنه ابن زعيم كبير ذي جاه عريض، وسمعة منتشرة، وعيش رغيد، ولم تمنعه أرستقراطية معيشته، وأناقة ملبسه أن يخالط الفقراء، ويجالس المستضعفين، ويشعرهم أنهم في مستواه فيتعامل معهم كما لو كانوا اخوة له.

ولن أعدد ما قام به ولكني أذكر موقفا له ذات عيد والمسلمون ملء الديوان الكبير، وبعض الأخوة يدورون بالبخور والماءورد، يبخرون ويرشون المعايدين الحاضرين

والذين يتوافدون، ولمح –رحمه الله وله عين باحثة لقطة– أن بين هؤلاء رجلاً يلبس لباسه اليومي العادي، ولم يكتس بثياب العيد كما يلبس الأخرون، فاستدعاني أخي وطلب مني أن اصعد إلى غرفته، وافتح صندوق ثيابه، وأن التقط منه الجديد والأغلى من قمصانه، وأعيده إليه، واسلمه إياه، وتحراني بكتمان ما قمت به ألا أكلم أحدا بما سأفعل، ولم يخبرني بمقصده، ولم اسأله أنا عنه، فصعدت إلى غرفته، وفتحت صندوق ثيابه، والتقطت قميصاً جديداً لم يلبسه، وعدت اليه وسلمته سراً، وكان ينتظرني في مكان ليس به احد. وتخيّر وقتاً ملائماً في نفس الوقت ليستدعي ذلك الرجل ويستفرد به في مكان لا يراهما أحد، وتتبعتهما خفيةً من بُعد، غلبه الفضول،، فرايته يعطيه القميص الجديد، مع بعض ريالات لم أدر كم مقدارها، انسللت راجعا ولم يرني. وطويت هذا السر فلم أكلم به انسياً، ولم أفش له سراً، إلا بعد رحيله الى ربه في عام حزين.

(٢)

ولما انقلب الحال عقب "الثورة الدستورية" والمحنة الكبرى حيث صودرت بيوتنا وأموالنا وثيابنا، وكلما نملكه ولم يبق لنا من ثيابنا غير ما نحمله ولا مأوى نسكن فيه، ولولا بني عمنا أوونا في بيتهم، لما كان لنا مأوى نسكن فيه، وكان العباس قد ألقي عليه القبض هو وابن عمه "أحمد" وخاله "عبد الله ابوراس" وهم في طريقهم إلى "عدن" ليناضلوا مع المناضلين عن "الدستور فساقوهم إلى "سجن صنعاء" بين "الدرداح" والشتائم والبصق والحجارة ثم ساقوهم الي سجن "قلعة القاهرة" بـ "حجة" لينظموا إلى من سبقهم من "الدستوريين" ومن سيلحقهم، وكان حظه أن يسجن

بجانب ابيه فقام بخدمه والده حتى جاء يوم استشهاد والده فرآه يخرج إلى الموت ثابت الجنان، يوصيه بالتمسك بالعدل والإصرار على الخير، وكما هو معروف مشهور ان والده من أكرم الناس بذلا للصدقات، وكان الشبل في هذه الخصلة من ذاك الأسد فصبر صبر المؤمن وهو يراه اباه يؤخذ الى الموت فرحا بالشهادة كما كان دعائه الدائم: (اللهم ارزقني الشهادة) فاستجاب الله دعاءه، وكنت طالما أسمعه يردد هذا الدعاء بصوت خاشع، ولم يكن كاتب هذه الأحرف وقتها يدرك معنى الشهادة ولا كيفيتها، ولكن مادام والدي يطلبها فلن يطلب إلا خيراً. فكنت أؤمن على دعاه، ذلك كان احساسي عندما اسمعه يردد ذلك الدعاء بعد صلاته وفي غيرها من الأوقات؟

غادر والده هذه الحياة بتراث ضخم من الثناء عليه، وبقي ولده من بعده صابراً محتسباً، حاملاً رسالة والده. لم تُعقّده هذه المتاعب القاسية، بل زادته صفاء إلى صفاء، وطهراً إلى طهر. تشبث بخلقه وأخلاقه وكان حري به أن ينطوي على نفسه بما لديه من مال لا يكفي رعاية اهله الفقراء المعذبين، ولكن انسانيته الطبيعية منعته الأ يكون انسانا.

ولما نقل من "سجن القاهرة" الى "سجن غمدان" بـ "صنعاء" ومنه "للمستشفى" للمعالجة من امراض شديدة الوطئة، وفي خلال ظرف قاس من العوز وخوف من السلطة أن يحتضن خصماً لها، وهو نفسه خصما لها فلم يخش أن يضم اليه شخص مغضوب عليه من السلطة، ولهذا نراه يحتضن الشاعر الكبير "عبد الله البردوني" المغضوب عليه أيضاً من قبل السلطة الملكية وفي الوقت نفسه يدرسنا نحن الصغار حيث لم تكن أنذاك مدرسة تقبلنا. وقضينا وقتاً طويلا مع استاذنا الذي عاش

بيننا كاخ كبير، واستاذ جليل، صابراً مثلنا على مر العيش وقسوة الحياة، ورعته والدتي ابنا لها مثلنا وضمنت له رعاية خاصة اعتبرها بالفعل اما له.

(٣)

ولما تيسر الحال وأطلقت أمولنا في أواخر عهد الإمام "أحمد" كان يراعي الشركاء ويسامح الفقير، ويغضي الطرف على تقصيرهم ويعيد لهم بعض أموالهم. وانا اروي حادثة قمت بها وهي أن أحد النساء المجاورات لنا في منطقة الأشراف كانت تملك بضع لبنات أمام منزلنا، فجاءت اليّ وطلبت مني أن اشتريها بسعر كذا، فوافقتُ على طلبها وتم الشراء ووقعت على الأوراق، ثم غادرتُ اليمن لمدة، ولما عدت علمت بأن اخي قد ارجع لها اللبنات وأعفاها من إعادة المال التي كانت قد تسلمتها، لما علم أنها فقيرة اضطرت لبيعها اضطرارا.

وبعد انتقاله الى رحمة الله عرفنا ان له صدقات خفية لم يعلم بها أحد، وطالبونا بأجرائها كما كانت على عهده، فتيقنا مما كان يجريه، وكانوا من الصادقين.

(٤)

وآتي الآن الى خصلة أخرى، خصلة الفكر المنفتح، لتقبل ما هو جديد في سبيل ما يعتقد. كان منذ شبابه الباكر فد تأثر بدعوة ابيه الإصلاحية منذ طفولته، وكان يعمل لصالحها بقدر جهده، وليس امامه إلا الإصلاح الديني سبيلا إلى التغيير، ولكنه ذات مرة عاد إلى "صنعاء" من "المحويت" في أواخر أيام الإمام "يحيى" بسنوات قلائل، وكان يتخذ من مفرج البيت مقيلا له، فكان يجتمع بالشهيدين "أحمد محمد المطاع" و"عبد الوهاب نعمان" رحمهما الله، فتلقى منهما مفهوما جديدا للتغيير سمى

"الوطنية" فرافقت مفاهيمها جنبا إلى جنب مفهوم "الإصلاح الديني" ولم يتنكر في الوقت نفسه لكليهما بل وائم بينمها وعمل عليهما في توازن سليم.

وفي ظللهما معا سارت خطاه، وكان يطلق على نفسه ويحب أن يطلق عليه كلمة المواطن عباس رافضا أي لقب أخر.

(٥)

فاذا تجاوزت مسرعاً هذه الخصال المثالية إلى خصلة أخرى هي عمق نظره في رؤية الأحداث المستقبلية والتكهن بما سيحدث وما تسفر عنه الأيام، فلا أملك إلا أن أقول ما رأيت سياسياُ يفري فريه، وانا إذ أقول ذلك فلأني على يقين مما شاهدت لا بما سمعت فقط، وذلك لأنه كان معظم اوقاته يفكر فيطيل التفكير، وبتأمل فيطول التأمل واذكر يوماً وانا جالس عنده ونحن سكوت وهو غارق في الصمت يفكر ويفكر، فقلت له مازحا: يا اخي وهل هكذا تفكر حتى وانت نائم، فانتبه من غيبوبة صوفي في محرابه.

كان بالفعل دائم التفكير يقلب أي خبر ذات اليمين وذات الشمال، ويخرج منها برؤية صافيه وكثيرا جدا ما يوافقه الصواب، بل كان يتخذ من موقف ما، لرجل ما، سببا لهدف يبلغه الرجل.

ذات يوم ونحن عنده في "المقيل" في منزلنا بـ "حقو الخير"–وهو البيت الناجي من الخراب بسبب سكن الشركاء فيه وبسبب أنه بيت مزرعة – رأينا قاضي" يمشي مسرعاً في السائلة، وبيده عصاه يرقل بها، ويتلفت يمنياً وشمالاً، لعله يرى "سيارة" متوجه إلى "صنعاء" فقال اخي "العباس" أرى أن هذا الرجل استدعي إلى "صنعاء"

ليعين عاملا على "بني حشيش" فقلت: سبحان الله يا أخي ما يعلم الغيب إلا الله ، قد يكون دخوله لعدة أسباب، منها أن زوجه او ابنه مريض، فهو يستعجل دخوله اليها ليصطحب حكيماً لمعالجته أو يشتري علاجاً: فأجابني: نعم إن الغيب لا يعلمه الا الله تعالى، ولكن الله أمرنا أن نفكر فيما يجري حولنا، وأنا أرى أن وراء سفر هذا القاضي في هذه الساعة التي لا يسافر فيه إلا المضطر غاية يسعى اليها، وبنو حشيش خالية من أي مسؤول حكومي، وهذا القاضي كفؤ لهذا العمل، فاستنتجت ما قلت لكم ، فسكت وانا في قرارة نفسي استبعد تنبؤ اخي. ومن حسن حظ القاضي انه وجد سيارة" فركب عليها وتوجه الى "صنعاء". ودار الحديث حول قضايا أخرى، وفي نفس الليلة أعلن "راديو صنعاء" تعيين هذا القاضي عاملا على "بني حشيش" فأعجبت باستنتاج أخي. وهكذا كان يستنتج من مثل هذه الأمور ما يتنبأ به، وله قضايا كثيرة شاهدتها؟ ومما سمعته من أحد مرافقيه بعد انتقاله الى ربه أن "العباس" كان يعرف بدون أن أكلمه أو حتى المح له أنني بحاجة ملحة الى مال وأن حالتي صعبه، فما ألبث حتى يحول لي مبلغاً استعين به على الحياة.

(٦)

ولما تمت المصالحة بين "الجمهوريين" و"الملكيين" وتشكلت الحكومة من الجانبين، رفض "اتحاد القوى الشعبية" –وكان "العباس" من مؤسسيه الأوائل– الدخول في الوزارة، لأنه كان منذ فترة سابقة، وهو ضد ما يجري في "الغرف المقفلة" بعيداً عن إرادة الشعب، وكان يشترط انبثاق حكومة من خلال عقد "مؤتمر يمني– يمني" بعيد عن أي نفوذ خارجي مهما كان شكله ونوعه، ولم توافق عليه "الرياض"

والجناح الحاكم في "صنعاء" بحجة الخوف من دخول "القوى اليسارية" المتنامية أنذاك، إما إرضاء" للسعودية" التي لن تقبل التعاون مع اليساريين" واما لما بين "حزب البعث" و "قوى اليسار" من خلاف آنذاك، وكان "اتحاد القوى الشعبية" يصر على حضورها في "المؤتمر" باعتبارها شريحة واسعة لها نضالها. وهكذا استُبعدت فكرة "المؤتمر اليمني" لصالح الجناح الحاكم في "صنعاء" ولصالح "الرياض" معاً، وكان ما كان. ولأن المصالحة تمت بين حكومتين وليست منبثقة من "مؤتمر يمني" استبعد "اتحاد القوى الشعبية" نفسه من الانضمام الى "وزارة المصالحات الحكومية" في حين كان مسؤولو "صنعاء" حريصين ان يشارك فيها حتى يقال إن هناك إجماع بين كل القوى اليمنية، واذكر أن إذاعة "صوت أمريكا" وهي تحلل حدث المصالحة هاجمت "اتحاد القوى الشعبية" لرفضها المشاركة.

ومن واقع رفض القوى اليسارية المشاركة في الحكم أدرك "اتحاد القوى الشعبية" أن "صنعاء" ستتخلص من الملكيين واحدا بعد أحد معتمدة على علاقاتها الجديدة مع المملكة السعودية آنذاك، فسوف تتخلص من كل القوى الأخرى التي تملك رؤية غير رؤيتها، وسوف تتخلص من "اتحاد القوى الشعبية" الذي يصر على التعاون مع القوى اليسارية والذي يصر على مؤتمر يمني، ينبثق منها حكومة يمنية خالصة لا حكومة مصالح خارجية وداخلية.

ولكي يكون هذا الفهم يقينا، فرأى "العباس" أن يجس النبض –كما يقال– فا ألتقى بالرئيس "عبد الرحمن الأرياني" وحدثه عن إمكانية التعاون معه فرد الرئيس مرحباً، وقال سأتفاهم مع الأخوان الآخرين وأفيدكم، وفي الموعد المضروب أخبره

الرئيس أن الأخوان لهم تحفظات على الاتحاد. فكان هذا اثبات على أن القوى المتصارعة داخل الحكومة يكفيهم ما عندهم من خلاف ويتخوفون من دخول الاتحاد بما يحمل من مشروع لا يتفق مع مصالحهم.

(٧)

وبعد ان تبين "لـ "اتحاد القوى الشعبية: عقم مسعاه في تحقيق انعقاد مؤتمر "يمني– يمني" قرر أن يطبق العباس الخطة التي وضعها الاتحاد لنفسه، وخلاصتها للنزول إلى الشعب نفسه بدلا من التواجد في صنعاء، وكان القرار أن يبحث عن منطقة صالحة للبدء بها، فكانت منطقة "بني ظبيان" هي المنطقة التي سيبدأ العمل الشعبي منها، وهي منطقة مغلقة على نفسها، يسكنها رجال شجعان، ليس لهم صلات قوية خارج منطقتهم، ويعيشون حياة بدائية تقريباً، وهي مسورة بجبال شاهقة، ولها مخرجان ضيقان أحدهما في الغرب، والثاني في الشرق، وبها نهر جار وتربة حسنة للزراعة ولكنها مهملة، ويسود مجتمعهم الأمن والأمان فلا توجد سرقات بينهم حتى ان من يأتي إليهم يضع رحله في الطريق السابلة، ويصعد في الجبل الى المنازل الواقعة في ذراه، فيضاف اكرم ضيافة وينام هناك وفي الصباح يهبط فيجد رحله كما كان لم يمس بسوء، ورغم انهم يحافظون على صلواتهم ويوجد أمام كل بيت مصلى إلا أنهم مقاتلون اشداء لا يرعوون عن سفك الدم الحرام. وبالرغم من أن لديهم نهر يجري وتربة صالحة لغرس ما تريد من البذور بحيث يستكفون بحاجتهم فإنهم لا يهتمون بالزراعة كقبائل كثيرة تشاطرهم في هذا. ومن العجيب أن عندهم وسائل اتصالات سميتها لما عرفت بها: (تلفونات بني ظبيان) وهي عبارة عن إطلاق رصاصات معينه لكل حادث

رصاصة أو رصاصتان او اكثر. فيعرف أهل القرى ما تعنيه هذه الرصاصات. والخلاصة أنه هؤلاء القوم لا عيب فيهم الا الجهل وسفك الدم. وكنت قد زرت المنطقة تمهيدا للقيام بالعمل فيها وقدمت تقريرا عن احوالها وعلى ضوئه ذهب اليها العباس ليبذر فيهم كبادر "اتحاد القوى الشعبية"

إلى هذه المنطقة –اذاً– شد "العباس" رحاله اليها. بعد أن تأكد له عقم ما يجري في العاصمة وغيرها من المدن من نقاش بين المثقفين انفسهم لا يصل إلى القوى الحقيقة الكبيرة تلك التي تلعك تراث تراثها المنحرف وتتمسك به، ولا من أحد ينير لها الطريق، إلى جانب أن "الرؤية الجمهورية" كان يحيط بها غبش كبير، ولم تحسن إخراجها بوسائلها الجمهورية الحقيقية بل بتراثها الفردي المتمكن، فكان النفاش يغوص في المظاهر ولا يلمس الجوهر، بالإضافة أن كل فريق كان يرى المشكلة والحل من وجهة حزب من الأحزاب المختلفة، وعلى تطبيقها بما كانت الأحزاب الأم تطبقها على مجتمع آخر وكل ذلك يجري بين المثقفين بدون أن يسري أو يلمس الجانب العريض من الأمة.

فور وصوله إلى "بني ظبيان" عمر له كوخاً متواضعاً، سكن فيه، وباشر ببناء مدرسة لتعليمهم، وسعى في توحيد القبيلة ذات الفروع المتعددة، والتي كان لكل فرع شيخ عنده شيء من الخوف من الآخر بحيث كانت الفروع مستقلة تعمل لصالح فروعها فقط، ولا تتوحد الا في الحروب، ونجح في مسعاه وأصبحت القبيلة يداً واحدة، وبدأت تتقبل افكاره وبان أن كل شيء يسير سيرا حسناً.

وفي خلال ذلك كانت ثمة خصومة دامية بين "قبيلة السهمان" الأكثر انفتاحا وبين "بني ظبيان" الأكثر انغلاقاً، فسعى بجهده إلى الصلح بينهما في قضية يتحكم فيها العناد القبلي الضارب جذوره في الأعماق، وللقبائل عامة في هذا الموضوع عناد صلب ليس من السهل تفكيكه بسهولة، مهما كانت جلالة الشخص ومكانته عند الفريقين. وان كان قد تمكن من تأجيل الصراع بينهما طيلة بقاءه في "بني ظبيان".

(٨)

انتقل "العباس" من "بني ظبيان" إلى "جبل اللوز" الذي يعتبر ثالث أعلى جبل في "اليمن" بعد "جبل حضور" و "جبل الطيال" لكن من حيث السكنى فهو الثاني في الارتفاع. إذ أن "جبل الطيال" خال من السكنى، وبه تفتخر "خولان" إلى درجة أنها تسمى "خولان الطيال" تعريفاً له عن "خولان بن عامر" في "منطقة صعدة"

كان أهله يسكنون في سطح الجبل المنبسط ذات "مزارع" تناثرت فيه قرى متقاربة، متشابهة في العزلة، وفيها مزارع تلبي حاجتهم المعيشية وتنبت فيها أشجار اللوز، وهي الشيء الوحيد التي يستثمرونها ويبيعونها في صنعاء فيحصلون منها على مردود ينفعهم في أعوام القحط. ولديهم نهر مغمور تسمع هديره تحت الأرض ولا تراه، وهم لا يستفيدون منه شيئاً ولكنهم يستقون من ابار عميقة بعض الشيء فينزحون مائها فيشربون منها هم ورحالهم، وفيها بعض المساجد التي بجانبها أحواض ماء تمتلأ من الغيث فيتوضؤون فيها، وهذا مالم يكن يوجد في "بني ظبيان" حيث كانت "المصليات" أمام البيوت في أعالي الجبال تقوم مقام المسجد" وتكفيهم عن صلاة الجماعة، وعندما زرتها لم اجد فيما زرته مسجداً واحداً، لذلك ترى أهل جبل

اللوز اكثر لقاءات وأكثر انفتاحاً من "بني ظبيان"، والشيء الملح الذي يعانون منه هو انه ليس لهم طريق للسيارات ليسهل لهم التواصل مع الآخرين الا بصعوبة. والحكومة لم تهم بهم ولم ترسل

وحط "العباس" رحاله في ذرى الجبل الشديد البرودة في الشتاء، والمعتدل نوعا ماء في أيام الصيف . وأول ما فعله أن ضرب خيمته في بداية الطريق التي ستشق والمطلة من ارتفاع شاهق على سهل "المربك" الزراعي وعلى ما وراءه غرباً الى "جبل حضور" وبقية الجبال البعيدة.

كان اول عمل له أنه وطلب "أهل الجبل" و "أهل المربك" الساكنين في السهل أن يعملوا معه واصحابه في شق الطريق بالمفارس والمجارف والوسائل البدائية وبدأ هو بأول ضربة معول. وكان يشتغل معهم معظم وقته بهمة ونشاط، وكان كل من يزوره كبيراً أو صغيراً يطلب منهم المشاركة في العمل قبل أن يصافحه، ويرحب به، ولم تمض أشهر حتى تم فتح الطريق الذي خطط له بنفسه، وكانت سيارته بقيادته اول سيارة تصعد الجبل الصعب في سهولة ويسر نوعا ما. وهكذا تم بسواعد الرجال وبدون "بلدوزر" شق الطريق بدون خسارة أحد.

وبعد أن انجز هذا المشروع انتقل الى المربك وبنى له بيتا وبجانبه مسجدا ومن هناك بقي يواصل جهده لما ينفع الناس؟.

(٩)

حظي شق الجبل بدعاية واسعة تشيد بما انجز، الأمر الذي أخاف الحكومة من مثل هذا العمل الذي أبان عن تقصيرها بل اهمالها، ووسع من شعبية "اتحاد القوى

الشعبية، فأرادت أن تسرق جهده، وتقطف ما زرعه، وتنسي الناس انجازه فوعدت "أهل الجبل" بتزفيت الطريق" وقررت افتتاح الطريق فور زيارة وفد من الوزراء للاحتفال به، فسعد اهل الجبل، وارضوا بما وعدوا به وصدقوه تصديقاً وأقامت للوزراء ضيافة واسعة، كان اخي القاسم وانا من المدعوين وخطب الوزراء بهذه المناسبة واشادوا باهل الجبل ولم يذكر واحد منهم جهد العباس سوى الشيخ المرحوم "محسن النيني" شيخ بني سحام الكبير الذي نطق بالحق مشيدا به رحمهما الله.

وانتهت الحفلة وانتهى مصورو الاحتفال الرسمي وعاد "الوزراء" إلى "صنعاء" وأعلنت "إذاعة صنعاء" افتتاح الطريق وعرضت صور الاحتفال وكأنها هي التي افتتحها. ومضت أيام وشهور، بل وسنين ولم يتم تزفيت الطريق، مكتفين بما قد حصلوا عليه من دعاية عمل لم يقوموا به.

(١٠)

ومن بيته الرابض على ربوة صغيرة ظل يواصل جهده في اصلاح ذات البين بين القبائل ومنها ما بين السهمان وبني ظبيان وآخر محاولاته التي قام بها – وقد أنهكه العمل المضني بين الشتاء القارص والصيف الافح، مما أثر على صحته وضعف بنيته– أن زار بني ظبيان والسهمان، وكاد ينجح لولا عناد أحد مشايخ بني ظبيان" الكبار وكان معروفا بحب القتال وكره السلام الا وفق رؤيته. وكان من القوم الذين يحبون العيش وسط المشاكل والمتاعب.

وعاد "العباس" من رحلته هذه مريضا منهكا حزينا على الوضع الذي فيه القبيلاتان من إصرار على التقاتل المريع، وكأن السلام يجلب لهم عارا قبلياً، وكان البعض منهم من ذوي النفوذ لا يريد حلاً، بل يسعى إلى المشاكل سعياً.

وكان العباس" يتحمل من المتاعب فوق طاقته ويتألم كثيرا على ما يجري في "اليمن": "حكاماً" و"قبائل" و"مثقفين" وكل تلك الهموم تنخر في جسمه/ وتقضم من عمره حتى سقط مريضا يحتضر وأسعفه أخوه القاسم –رضي الله عنه إلى "صنعاء" حيث لم ينفع علاج.

لقد حان موعد الرحيل ولقاء ربه، فاسلم الروح والتحق بربه راضياً مرضياً، وتولى اخوه "القاسم" دفنه بيديه ووضعه في لحده حزين القلب دامع العينين وأقبل المعزون من كل صوب، ورثاه الشعراء الكبار من أمثال رفيق المرحوم "علي عبد العزيز نصر" و"محمد العوبلي" و"عبد العزيز المقالح" وغيرهم على نحو ما ورد في كتاب "العباس بن علي الوزير"

لقد فقدت اليمن ابنا برا بها عطوفاً عليها ترك الراحة والترف وراءه وآثر التقشف والزهد والتعب والإرهاق في سبيل معتقده.

لقد رحل المواطن ‘‘العباس"– كما كان يحب أن يُدعى– مكفناً بأخلاقه وجهاده، مضمخا بجراحه العاطرة، لم يطلب جاهاً ولا منصباً، بل آثر الجهاد والتعب على ما تشتهيه النفس من جاه ومال.

وسيذكر التاريخ أنه أول مواطن نقل القضية اليمنية من ‘‘غرف المقيل" إلى أوساط الشعب الذي بقي –منذ "الثورة الدستورية" –بعيداً عن معرفة مشكلته الأسنة.

فسلام عليه في الأولين والأخرين.

وداعاً.. أخَ الحقّ

المفكر الإسلامي/ إبراهيم بن علي الوزير

في ظروف حزينة دامية للقلب فارق يمننا أخو القلب وشـــقيق الروح ورفيق الجهـاد فـارق عبـاس بن علي الوزير هـذه الـدنيـا الى ارض البقـاء والخلود الى جوار العادل الحكيم الرحمن الرحيم رب العالمين.. لك الله يا عباس يامن لم يتوقف جهادك وتفكيرك في أمتك لحظة من نهار. ولكم الله يا أخوة جهاده ورفاق نضاله في الدرب الشـاق العسـير.. ثلاثة وثلاثون عاماً مرت حينما مضـى شـهيد الحق المجاهد الكبير علي بن عبد الله الوزير الى سـاحة الاستشـهاد مودعاً عباس الذي كان في جواره الى اللحظات الاخيرة في المعتقل وهو في ريعان الشباب وعمر الزهور داعياً له ان يكون رجل الرجال فمثل الرجولة في أسمي صـفاتها شـجاعة واقداماً، وشـهامة ونبلاً ووفاء عزله النظير عرفه اليمن رجل المكرمات والنجدة والوفاء والشهامة.

جهاد ثلاثة وثلاثين عاماً لم تهن له فيها عزيمة ولم تضـعف له ارادة نصـرة لحق وجهاداً ضد باطل ومصارعة لقوى الشر والاثم والعدوان. رعى اخوته الصغار الايتام ووقف الى جانب امه العظيمة التي فقدت في بضـعة شـهور زوجها العظيم واخوتها

الابطال ولم تشغله همومه الكبار عن الوقوف في صف الامة يدافع عن الحق ويحارب الباطل ويعين المحسن على احسانه ويرد المسيء عن اساءته بلا كلل ولا ملل.

إرادة فولاذية في مواجهة العواصف والأفكار الظلامية

لقد كان عظيم الارادة وكأنها الفولاذ الذي لا يثلم فلا يثني عن مواجهة أصعب الصعاب وأخطر الاخطار.. خرج من معتقلات الظلمة في الماضي القريب في مسيرة طويلة يحرسه حب كبير له في سبيل غاية واحدة: الحق وانصاف المظلومين والمضطهدين ولم يكن يخدعه اي سراب موهوم او اي بريق كاذب فما عرف العباس الا الصدق والا الرجولة في أسمي صفاتها.

ويوم رأى الغيوم السوداء تملأ سهول بلاده بالأفكار الظلامية البعيدة عن نور الله استمسك بالعروة الوثقى للخروج بأمته من الظلمات الوافدة الى نور الله متصدياً للطواغيت غير عابئ أوقع على الموت ام وقع الموت عليه، فتصدى لأمرين:

الأمر الأول؛ الاصلاح، يقوم به اصلاح القلوب بنور الله واصلاح ما يعود على الامة بالخير ويبني المدرسة والمسجد ويدعو الى التعاون ويعيد الثقة الى الانسان المسلم.. وكان يعلمهم اذا لم نجد المال والآلة فالإنسان المتعاون مع أخيه يستطيع ان يحل محل المال والآلة ونزل يعمل معهم بيده في مناطق جبال خولان لأكثر من اربعة اعوام ازدهر فيما بينهم التعاون والتناصر والاخاء وكان لهم الاب الكبير.

الامر الثاني بمنطق الحق وبدليله الواضح العمل وكان كثيراً ما يردد العمل دليل الصدق لأي كلام يقال.. بذلك تصدى للأفكار الظلامية الهدامة التي تثير نيران

الاحقاد والضغائن في صفوف أمته.. لم يبخل بأي شيء في سبيل وحدة القلوب على الحب والتعاون فأخذ خيمته الى الجبال واقام لأكثر من اربعة اعوام لا يظله سقف بيت، يعمل وهو يعاني المرض والحزن الذي سببه النائمون امام جرائح ستغرق الامة ذات يوم في الاشلاء والدماء.

العمل ميداناً: بناء المساجد والإصلاح بين القبائل

يعمل بيده مع العاملين فيشق الطرق ويبني المساجد والمدارس ويؤلف بين القلوب ويعيد السلام الى المتحاربين ويقطع ما بينهم من خصومات وثارات ويوجههم ليقفوا صفاً واحداً متعاوناً في سبيل الله والمستضعفين في الارض.

طالما كلّمه محبوه ان يرفق بنفسه وان يرفق بأهله فلا يفجعهم فيه فكان الجواب الواحد للمرة الألف من هنا خرجنا وانبتنا الله ونحن على ثغر من ثغور الاسلام فلا يؤتين الاسلام من قبلنا ونحن أحياء.

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

لقد سقط عباس في الميدان وهو عائد من اصلاح بين الناس واعادة سلام وصيانة دماء وتوحيد قلوب وتوطيد امن وخبر وعاد الى فراش مرضه الاخير محمولاً من ميدان العمل وهو يعمل على وقف اراقة الدماء بين المسلمين الذي تثيره الجاهلية لتنفذ من خلاله الاحقاد والضغائن الى تدمير هذه الامة واغراقها في سيل من المآسي والدماء والدموع لا تجد له رداً ولا دفعاً؟

ولكن العباس الذي يحمل القلب الكبير والعزيمة التي لا تقهر والارادة المصممة خاض ومن سنوات كل الظروف الشاقة والعسيرة التي تعانيها الامة. لم يظله سقف بيته الا لماماً لم يتمتع به صغاره واهله الا في فترات متقطعة يرحمك الله يا ابا عبد الله واسكنك مع اجدادك من الانبياء والمرسلين الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقاً.

أما ان قلوبنا لحزينة!

وأن عيوننا لدامعة،

ولن نقول الا ما يرضي الرب: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وإننا على الدرب سائرون وفي لقاء الأحبة آملون في لقاء لا فراق بعده، والله نسأل ان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة وان يسدد خطانا ويغفر لنا ذنوبنا ويمحو عنا السيئات وان يتقبلنا عنده بقبول حسن وإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله المستعان.

في رثاء عباس بن علي الوزير

الأستاذ/ علي عبد العزيز ضمر

أيها الحبيب يا عباس بن الوزير:

ما كنت أحسب أنك ستسبقني وكل الأحباء وبهذه السرعة المباغتة لتلحق بربك راضياً بما قدمت كارهاً لما خلفت.

ثم ما الذي يمكن أن أقوله في هذه اللحظات الأليمة المؤلمة وبيننا ثلاثون عاماً هي في عرف العراك والمتاعب ثلاثمائة عام.

أيها الحبيب: إذا كنت سأنسى شبابك وهو يعتصر في مذلة السجون ومهانة التشرد فلن أنسى أنك كنت قوي الإرادة صلب العزيمة كبير الأمل وعظيم الإيمان لم يقعدك الجوع والفقر والأموال والممتلكات مغتصبة... لقد كانت ابتسامتك في الشدة تضيء لنا الدرب وتزيدنا رغبة في مواصلة المسيرة الحميدة في درب الإيمان والحق.

كان في بداية عام ٥١ م أول لقاء بيننا في مستشفى الحديدة... لم يسمع الحراس لنا صوتاً وإنما التقت عيوننا فتفاهمنا وتمتمت شفاهنا وكان عهدنا الأول في الانطلاقة نحو بعث الأمل في النفوس بعد ثورة ١٩٤٨ م وتمر الأيام فيأتي عام ٥٦ م حيث يتأسس حزب الشورى فيبعث الجماعات المؤمنة من أعماق الرهبة المظلمة.

وما أن أخذت خطوات النصر الأولى تستبق الزمن حتى كان عام ١٩٦٢ م ولكنك كنت ملهماً وشجاعاً فلم تأخذك نشوة هذا الانتصار وإنما أخذت تشق درب الخلاص من النزيف الدموي الذي وقعت فيه البلاد وامتحنت به الأمة. ويشاء الله أن تكلل هذه الجهود الصادقة المخلصة بالمصالحة الوطنية حيث التأمت الجراح والتقى الأحباب في أواخر عام ١٩٦٩ م.

وظن البعض أنك ستستريح بعد العناء الطويل ولكنك كنت اتخذت طريقاً جديداً للتضحية ففي الوقت الذي استرخى فيه البعض ركوناً إلى مال أصابوه ضربت أنت المثل الأعلى في التضحية.. لقد كنت قادراً أن تختار أجمل بلد في العالم لتقضي فيه بقية العمر مرحاً طروباً ولكنك اخترت شعاب اليمن وجبالها وكانت شعاب خولان الطيال مقرك في الارشاد الاجتماعي... لقد دفعت كثيراً من رجال القبائل لشق الطرقات بسواعدهم، أعدت لهم بها معنى الاعتماد على النفس، معنى التعاون الذي به تسمو القيم الإنسانية. لقد كان الزائرون يشعرون بالخجل من أنفسهم لموقعك الإنساني البطولي في حر الشموس وزمزمات الرياح وصقيع البرد لا

تضمك سوى خيمة في المساء حيث يتلقى الرجال من نفثاتك معاني الصبر والعمل والمحبة والوفاء والإخلاص؟.

إن الوطنية في الجهاد هي المعاناة والمشاركة العملية في السراء والضراء... ولقد كنت رائداً عملاقاً في هذا المجال الإنساني الكبير وكما منحك الله القدرة والصبر منحك النجدة والمروءة. إن أولادي وكل الأحباب لن ينسوا أبداً يوم وقعت أنا مريضاً فغبت عما حولي أياماً، إذ غادرت خولان نصف...الليل متجهاً إلى الحديدة لتواسي أطفالي ولتقف في باب المستشفى الساعات تتحرى ما وصل إليه الأطباء في معالجتي حتى إذا طمأنوك قفلت راجعاً إلى حيث تؤدي واجبك... المقدس.

أي معنى غدوت في الأحياء يا حفيد الأعلام في الشهداء

عشت للحق للمروءات نجماً عبقري الرواء والأضواء

وحباك الإله عزم المحبين فأدميت مهجة الأرزاء

وتقحمت كي تعري خطى الحقد الحقد ولم تنتسب لغير الوفاء

سوف لا ينكر اليمانون عهداً كنت فيه الأبر في الأوفياء

يوم ألقى الطغيان ثقل الليالي فجثا الحق شاخصاً في حياء

كنت أمضى الشباب في مربض الموت وفي لجة عظيم الرجاء

أيه عباس حزت كل عظيم وعظيم الأفعال سر البقاء

كل ما قدمت يداك سيبقى لحن حب في خاطر الأبناء

يتوارى الأعلام إلا من الذكر تغذيه مقلة العلياء

فلئن غبت عن عيون الأحباء وخلفت حرقة الأحشاء

فلنا في هواك مبدأ صدق هو في شرعنا عظيم العزاء

يا رفيق الجهاد كل فدائي له نفحة من العظماء

أنت أحسنت في العطاء ولم تبق سبيلاً فكنت خير فدائي

قدس الله فيك روح جهاد ألهمتنا الصمود في البلواء

وداعاً أيها الحبيب... وإنا لله وإنا إليه راجعون...

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

عباس بن علي الوزير..

التجربة الرائدة

المفكر الأستاذ/ القاسم بن علي الوزير

من الناس من يأتي إلى الحياة، فيزيد فيها معنى تخصـــب به وتمرع، فإذا رحل عنها بقي –هو– في تلك الإضـــافة يتجدد بها حياة في الحياة. ونقصـــت –هي– برحيله نقصـاناً لا يسـد وافتقدت شـيئاً لا يعوض، لأنه افتقاد المدد المتجدد كل يوم بعمل جديد..

ولا يمتري أحد بأن عباســاً رضــي الله عنه كان من هذا النوع النادر، والطراز الفريد.. ولا تطمح هذه السطور إلى تسجيل حياة الرجل ولا حتى فصولاً منها. إنها ترمي – فقط – إلى تنـاول أولي لتجربـة رائـدة من تجـاربـه ختم بهـا حيـاتـه الحـافلـة بضــروب الجهاد وألوان التضــحية وأفانين الفداء مقدماً بين يديه، إلى ربه عز وجل، عمله الأخير.

إنها تجربته الاجتماعية. أو قل – إن أردت الدقة – مغامرته الاجتماعية الباسلة.

إن حياة العباس كلها ملحمة بالغة الروعة، بالغة الدلالة كذلك، تكاد تختزل –في شخص– تاريخ مرحلة كاملة من تاريخ أمة.

ولد – رحمه الله – في سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م وهذا هو العقد الذي شهد أواخره بداية الخلاف بين أبيه العظيم وبين الإمام حول قضايا الأمة ومستقبلها.. ذلك الخلاف الذي استهل به ما سُمي – فيما بعد – بالحركة أو القضية الوطنية والإصلاحية.

وهكذا لم تتفتح مداركه إلا على الساحة المضطرمة بيقظة الأفكار وتصادمها، وأصوات النصح المخلص مختلطة بمشاعر اليأس المحبط، وأصداء النجاح والإخفاق للمحاولات المتكررة دون انقطاع، وتنوع أساليب العمل بكل ما يحيط ذلك من ضروب القلق العام، وأشواق التطلع الحارقة إلى آفاق ترسمها الأحلام ويغلفها الواقع بالغموض والإبهام.!

حتى إذا بلغ مطلع الشباب وجد نفسه يرقب بعين مفتوحة، وبصيرة نافذة ما يدور حوله، ويسمع بأذن لاقطة وعقل يقظ أحاديث الأفكار والخطط والأهداف والآمال، تلك الأمور التي تشكل جميعها عادة "مكونات" ثورة تتخلق.

ثم لم يلبث أن عاد أخوه الأكبر عبد الله من مهجره منطوياً على بركان يتضرم فسرت وقدة حماسه في عزائم الرجال المصممة على اقتحام التاريخ.. بثورة.!

وتحول "دار الصـــياد" إلى ملتقى لهؤلاء الرجال. أو إلى "معمل" لإنتاج الثورة المرتقبة. وهو – خلال ذلك – يســرح طرفه بين تلك الهامات الشــامخة، ويصــيخ بســمعه إلى أحاديثهم الحالمة، العالية النبرة، ويختزن عقله ذلك كله، ويحتضــن وعيه أبعاده ومراميه، ويوازن ببصــيرة نافذة بين وقار أبيه القابع هناك في "المحويت" يوجه الأمور بحكمته، ويدير الأحداث باتزانه، ويعالج المشــاكل بأســلوبه الصــبور الوقور متوخياً الإصلاح على هدى من ربه، متنكباً المحظور على بصيرة من علمه..

وبين حماس أخيه ورفاقه الذين يريدون أن يسـوقوا التاريخ سـوقاً بعصـا غليظة من حمـاس وأحلام، لا يلوون على شـــيء، ولا يلتفتون إلى شـــيء. قـد ملأهم الإخلاص اندفاعاً يرمي بهم المرامي. ويصـور لهم الأحلام "واقعاً" قائماً ينتظر الخطوة الجريئة ليمثل أمامهم "حاضراً" مكتمل السمات والملامح.

كان عباس حينذاك شـــاباً يافعاً خجولاً ومهذباً. معروفاً من طفولته الباكرة بالقدرة الهائلة على الصبر والتحمل، وبالأدب الجم الذي يحمله على الصمت المعبر، يختلف إلى المدرســـة العلمية، ويتعلم من الحياة ومن رفقة تلك الطليعة النادرة من الرجال أضــعاف ما يتعلمه من المدرســة العلمية، وحين لا يكون في صــنعاء، فإنه يكون في المحويت بجوار أبيه يعب الحكمة ويســـتوعب المثل الأخلاقية التي تكون عظمة العظيم.

واندلعت الثورة الكبرى.. (١٣٦٧هـ ١٩٤٨م).

وفشلت الثورة!

وسيق الأحرار زمراً إلى أعواد المشانق، أو ظلمات السجون، وألقي القبض على عباس في معبر هو وزميلاه المناضلان: ابن عمه أحمد بن محمد، وخاله الشهيد عبد الله بن حسن أبو راس وسيق الثلاثة المغاوير في الأغلال، وطيف بهم في شوارع صنعاء، وتلقوا من الشتم والضرب والبذاءات العملية المتنوعة ما تلقوا.. وأصاب أحدهم العباس في خاصرته بركله أصابت إحدى كليتيه بأذى أورثها مرضاً مزمناً صاحبه حتى وفاته – رحمه الله-. وانتهى بهم المطاف في حجة حيث زج به مع ابن عمه في سجن القاهرة. مع أبيه وآله، وزج بخاله في نافع مع أخيه ورفاقه، ونسي العباس وابن عمه كل مصائب الدنيا حين وقع نظرهما على القيد في قدمي الأب العظيم، وهو يستقبلهما بنظراته الحانية الباسمة ووجهه المتألق.. كأنه في سدة حكمه لم تنل منه الأحداث منالاً.. بل زادته جلالاً وهيبة ووقاراً.

بقي بجانب أبيه يخدمه ويتلقى نصحه ودعاءه وهو يودع نزلاء الغرفة ذاتها شهيداً من أهله بعد شهيد بدءاً بإمام الدستور وهاديه الكريم، ويتلقى المصارع الفاجعة للشهداء الميامين الذين يخرجون للإعدام يوماً بعد يوم من سجن نافع وفيهم أخواله، وأساتذته، وأصدقاؤه. أولئك الذين كانوا جميعاً أمل أمة ألقت عليهم أعباء نهضتها!

حتى جاء اليوم الأرهب، وفُتح باب الغرفة المقفلة ونودي على اسم أبيه العظيم. لطالما حدثه أبوه أن هذه الساعة آتية في أي لحظة من ليل أو نهار. ولكم أعرب له ولمن حوله عن تعجبه من تأخرها، كان يقول: إن أحمدا لن يفوت فرصة

كهذه للتخلص منه، كان يعرف أنه هو المطلوب الأول من زمن بعيد، وكان ما يحيره هو هذا السؤال: لماذا لم يقترف الإمام جريمته بعد؟

ولشـــد ما أرق عباس أن يشـــهد تطلع أبيه إلى تلك اللحظة المنتظرة في تهلل جليل وشوق يتضوع إيماناً إلى معانقة "الشهادة" التي كانت دائماً ضمن المأثور من دعواته وصلواته.

رأى العباس أباه يثب لما سمع الداعي متهلل الوجه باسماً هاتفاً من أعماقه: الحمد لله. ووجم الجميع.. ووثب العباس إلى أبيه يســـاعده على ارتداء ثيابه. وهو صـــامت كأنه الكتلة المتحركة من الحزن المتجســـد، ولكنه ثابت ثبات المؤمن الذي يعد نفسه لمعانقة اللحظة الجليلة ذاتها.. وأبوه يربت على كتفه مواسياً متهلل الوجه يتلو آيات ربه.. حتى إذا حانت لحظة الانصراف ضرب الأب الحاني على ظهر ابنه في حنان وحب. ملقياً نصيحته الأخيرة إليه وإلى ذويه من حوله: كونوا رجالاً!

ويشهد الله ويشهد الناس أن العباس قد حفظ الوصية وأمضاها، فكان في كل أحواله رجلاً ولا كالرجال بل واحد الآحاد في هذا المضمار ورجل الرجال..

وقضـى عباس في السـجن بضـع سـنين. وبعد أن تعب السـيف الأهوج من الصـــعود والهبوط على الأعناق وعاد إلى قرابه لينام من لغوب إلى حين – تهيأ للمساجين أن يختلط بعضهم ببعض. ووفد على سجن القاهرة ضيوف جدد حظي العباس منهم جميعاً بالود والتقدير، وأخذ منهم – بدوره – مزيداً من التجارب وكثيراً من العلم.

وتقلبت به صروف الحياة بعد ذلك من سجن إلى سجن، ومن منفى إلى آخر وهو لا يتوقف عن العمل من أجل أمته، ولا يني عن تطوير نفسه ووسائله، ولا يدخر جهداً أو مالاً يملكه في سبيل الرسالة التي نذر لها نفسه في تبتل القديسين.

شارك في كل جهد ظن فيه خيرا، فكان نائباً لرئيس الاتحاد اليمني – الشهيد الزبيري – في القاهرة المصرية. ومؤسساً لحزب الشورى مع أخيه إبراهيم ورفاقه الأعزاء: علي عبد العزيز نصر، محمد الرباعي، عبد الرقيب حسان، وغيرهم إلى غير ذلك من ضروب الجهاد وألوان الكفاح!

وحين أعلنت الجمهورية صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر (١٩٦٢) وجدناه ينتقل من سفارة إلى أخرى يعلن انتماءه للعهد الجديد. وتوجه إلى القاهرة في طريقة إلى صنعاء، وهناك التقى بنفر من الأصدقاء والزملاء الذين بدأ البيضاني ينفيهم إلى القاهرة، في محاولة لإفراغ البلاد منهم، وينزلونهم في فندق الكونتينتال. إنها مرحلة عبرت عنها نكتة لاذعة أطلقها المناضل والمربي البارز أحمد المروني حين أطلق على الفندق اسم: "السجنينتال!"

وبدأت مرحلة جديدة..

وحين يكتب التاريخ المؤرخون فعلاً لهذه الفترة فإن العباس سوف يشغل صفحات طوالا منه. كما شغلت مواقفه المضيئة الناس في حياته. لقد تطورت الأمور إلى أن أصبحت حرباً مدمرة غابت عنها الأهداف وبقيت الوسائل المدمرة، وأصبحت البلاد مسرحاً لصراع إقليمي ودولي لا ناقة لها فيه ولا جمل وبات من

الضـــروري إيقـاف هـذه الحرب لتحقيق الثورة ذاتها وتحقيق الأهـداف وبات ذلـك شـــرطاً لإقامة الدولة الحديثة وتحقيق التنمية وصـــولاً إلى العدالة الاجتماعية، وبناء مؤسـسـات المجتمع المدني وصـولاً إلى الديمقراطية، وهذه هي أهداف التغيير. أضـف إلى ذلك أن اسـتمرار الحرب سـيأتي على البقية الباقية من القيم الأخلاقية ويفسـد الذمم التي باتت تباع وتشترى بثمن بخس في مزاد الحرب فتدمر أغلى ما في الإنسان الذي هو عدة البناء ووسيلة انجاز "المشروع الحضاري" وهدفه في آن!

لذلك كله احتل هدف إنهاء الحرب وتحقيق السلام أهمية تصدرت "الأولويات" في قائمة الراشـدين من أبناء الوطن جميعاً باعتباره المدخل الوحيد لتحقيق المسـتقبل المنشود.

وفي هذا كان لعباس – رحمه الله – نصيب غير منقوص.

وعندما تحقق السـلام، وتمت المصـالحة وأذنت بعض المؤشـرات بإشـراق تحول دستوري مدني مبشر بتطور رشيد على طريق التحول العام والمطلوب، وتسلم سدة الحكم زملاء وأصـدقاء أعزاء قرر عباس – رحمه الله – أن هذه هي اللحظة المناسبة لشد أزرهم والإسهام في تسريع الإيقاع المتردد لعملية التحول المنشود.

إن بناء الدولة يجب أن يتم على أســس ســليمة من الشــورى الكافلة لحقوق الإنسان وحرياته ومشاركته الفاعلة في أمور مصيره والتبادل السلمي للسلطة. وذلك شـــرط لتحقيق العدالة الاجتماعية التي هي أســـاس للاســـتقرار الدائم على المدى الطويل وهدفه.

من أجل ذلك حزم عباس حقائبه عائداً إلى الأرض التي هاجر من أجل المستضعفين من بنيها، مفتوح العقل والقلب على زملائه الذين يحكمون. ولكنه ما لبث أن اكتشف أن الأمر ليس على النحو الذي تصوره؟ فالحاكمون الآن يريدون الحفاظ على الحكم القائم على "معادلات" قبلية وعصبية تفرغه من مهماته الأساسية ليكون فقط في خدمة تلك المعادلات المتخلفة التي لا تسمح بقيام دولة حديثة بالمعنى الحقيقي. لم يعد الحكم وسيلة. لقد أصبح غاية بحد ذاته. وتلك آية الانحراف!

وقد حاول.. ولكن هذه المحولات لم تفض إلى نتيجة عملية يطمئن إليها. كانت الأبواب والقلوب مفتوحة له تحاوره وتداوله الرأي ولكن النتيجة كانت هي نفسها" الاصطدام بحائط المعادلات المشؤومة إياها. إن الزملاء الحاكمين لا يريدون المساس بها خوفاً على كراسيهم.. التي – رغم ذلك بل بسبب ذلك على وجه التأكيد – أطيح بها آخر المطاف!

كانت هذه هي التجربة السياسية الأخيرة للمجاهد السياسي الصابر والمثابر، فقد دفعه هذا الموقف إلى إعادة النظر في أساليب العمل المطلوب ونوعيته. وخلا إلى نفسه في مزرعته في "حقو الخير" في بني حشيش أو في داره في الصياد دون انقطاع عن الناس في مقيله اليومي مستعرضاً الآراء والأفكار، منصتاً إلى نبض الواقع، مستطلعاً وعود المستقبل كما يحلم بها المثقفون أو يعبر عنها الجمهور، يطرح من الأسئلة أكثر بكثير مما يتلقى من الإجابات. وما أنفك خلال ذلك كله يدير

حواره الداخلي مع نفسه حتى استخلص تصوراً جديداً لدوره، وأسلوبا مختلفاً لعمله، ومجالاً غير مسبوق لنشاطه.

ثم صـــح منه العزم وتوكل على الله ســـبحانه. يقرن القول بالعمل ويصـــحب النظرية بالتطبيق. ويؤلف بين الفكر والواقع..

خلاصـة ما وصـل إليه: أن العمل السـياسـي لم يعد مجدياً. لقد كان مجدياً يوم كان لمحاربة الحكم الســـابق، لأن المعالم واضـــحة، بين ما يريده الحكم وما يريده الشعب. أما اليوم فقد اختلطت تلك المعالم. وتحول الحكم إلى مناورات فارغة لإدارة المصالح الضيقة لفئة محدودة وأكثر جشعاً وأملك لأدوات التضليل.

فإذا تركت هذه الدائرة، وجدت المثقفين واحداً من اثنين: إما مســـحوق تحت العقب الحديدية للقوى المتخلفة باســـم التقدم المفترى عليه. فهو يتوارى من الخوف من ســـوء ما ينتظره، وإما مقتعد مكاناً في "وظيفة" تكفل له العيش والســـلامة وقد شـــتتها الاتجاهات المختلفة ومزقها التطاحن دون أن يجمعها هدف جامع. لقد فقدت القدرة على أداء دور فاعل وأصـبحت إحدى شـرائح الشـتات والتشـرذم مكتفية بأحاديث المقايل.

أضـف إلى ذلك شـريحة هزيلة من وكلاء تجارة يحرصـون كل الحرص على خدمة أي ذي سـلطة حرصـاً على "التصـاريح" التي تمكنهم من الاسـتيراد دون أن يطمحوا حتى إلى تطوير أنفسهم إلى مستوى أعلى من رأسمالية وطنية ناشئة مثلاً، تخرجهم – في آن – من أسـار الوكالة للإنتاج الأجنبي ومذلة الخنوع للحكم ويتمكنون من بعد

أن يصبحوا قوة فاعلة تستفيد منها البلاد بقدر ما يستفيدون منها. إن توجهاً من هذا النوع كان من شأنه أن يدعم سيادة القانون، وبناء المجتمع المدني وتحقيق الاستقرار لكن لم تكن هذه الفئة التي أعماها الجشع بأقل ضياعاً من غيرها. إنها بوضعها هذا – قوة إعاقة وتعطيل لحركة المجتمع وتقدمه. بل حتى لمصالحها ذاتها من حيث تظن إحرازها بالتبعية والخضوع الذليل..

إلى ذلك فإن الشعب يعيش عزلة حقيقية عن مجرى الحياة العام. إن أغلبيته غير عابئة بما يدور هناك في دهاليز السياسة المتعفنة، بل إنها في مجموعها لا تكاد تدرك أن ثمة ظروفاً أفضل يمكن إحرازها. لقد سمعت كلاماً كثيراً. ولكن بدون مدلول بالنسبة إليها. وعوداً لا تثمر شيئاً. وجعجعة ولا طحن، أفقدتها الأمل الذي كانت تعيش به، وفرغت الشعارات من مدلولاتها وجردت الكلام من مصداقيته!

ما مؤدى ذلك كله؟

مؤداه – في مرتأى عباس – أن مهمة المثقف، والسياسي والثائر اليوم تتلخص في العمل المباشر، اليومي، مع الناس البسطاء الحالمين بمستقبل لا يعرفونه، ولا يعرفون الطريق إليه. مستقبل يخرجهم من ظلمات ما هم فيه.. إلى شيء أفضل وأكثر عدلاً وإنسانية.. ولا يعرفون كيف الوصول إليه أو الحصول عليه.

وسبيل تعريفهم لم يعد ممكناً بعد كل الخيبات التي أصابتهم إلا بالجهد المباشر، والعملي، عن طريق الواقع نفسه في أبسط أشكاله. وبداية من البداية. إن إطلاق شرارة الوعي إنما تنطلق من خلال الأشياء التي تغير ما بالنفس، وإن إقران العلم

بالعمل والمعرفة بالوعي هما الوسيلة التي يتحقق ذلك بها، وهذا لا يتم إلا من خلال ارتباطهما الوثيق بالتجارب المباشرة أياً كانت صغيرة وبسيطة.. فإن القدوة الماثلة والعمل المجسد لفكر هو الذي يطلق الفاعلية في الإنسان من عقالها الموروث..

وليس أمام المناضل السياسي الثائر اليوم إذا أراد أن يظل وفياً لرسالته من وسيلة إلا الخدمة الاجتماعية، إن هذه الخدمة الاجتماعية هي أساس التنمية الشاملة تنمية الإنسان بتنمية وعيه لدوره وإدراكه لوسائله. فمن خلال تغيير الظروف المحيطة يتم تغيير الإنسان ولكن من المهم جداً أن يتم تغيير الظروف بالإنسان نفسه. وعلى ذلك فلتكن البداية من أولى حاجات الناس وضروراتهم. وأننا لندرك مدى ما يحدثه مجرد حفر بئر – مثلاً – في منطقة لا تشرب إلا من الأحواض الراكدة التي تملؤها الأمطار من أثر بعيد المدى على إنسان تلك المنطقة. إنه يكتشف أن ثمة مصدراً آخر للمياه. وأن ثمة ماءً أنقى مما يعتاد. والأهم: انه يستطيع الحصول عليه بجهده.. قد يبدو ذلك شيئاً بسيطاً. ولكن المعرفة التي يكتسبها الناس بوجود مصادر جديدة. والوعي الذي أحزروه بقدراتهم على الحصول عليها: بجهودهم ووسائلهم المحدودة تجعل من ذلك تجربة هامة غير بسيطة في تنمية معارف الإنسان وخبراته وثقته بنفسه، واعتماده على وسائله. إنها ستقودهم صعداً من هذه النقطة إلى مدى بعيد. إن التاريخ يعلمنا أن الإنسان لا يتوقف إذا بدأ الخطوة الصحيحة الأولى..

بمثل هذه الأفكار والتصورات، حشد العباس عزائمه واختار منطقة من أشد مناطق البلاد عزلة، وحرماناً وغياباً عن العصر ويمم نحوها مع نفر من بنيها في محاولة عملية لتطبيق أفكاره. قال لي – رحمه الله –: لقد سئمت من مضغ الأفكار مع القات.. ومللت ذات الحوار كل يوم، وإنما أريد أن أكون أميناً مع نفسي ومع الجهاد الطويل. وما من سبيل لذلك إلا بالتفرغ للخدمة الاجتماعية، المجردة من كل غرض، الخالصة لوجه الله عز وجل؛ فإن أدت إلى تطور محمود أو عادت على العمل السياسي بفائدة فذاك، وإن لم فإنها غاية في نفسها.. حسبي أن أكون أديتها..

خرج عباس إلى بني ضبيان من أعمال خولان الطيال، وحمل معه ما استطاع من أدوات العمل اليدوية البسيطة (مفارس ومجارف) لشق طريق توصل المنطقة بالمدينة. وبأنحاء البلاد وتنهي عزلتها. وفي يقينه أن ذلك بحد ذاته عمل سيحدث من التغيير شيئاً كثيراً.

في الطريق انتصب أمامه الخلاف الدامي بين قبيلتين من قبائل خولان، فدعا عقلاء القوم، وأصلح ذات البين.. وهناك في الخط الفاصل بين القبيلتين المتحاربتين رأت العيون الذاهلة أبناء القبيلتين معاً يشقون الطريق بسواعدهم المشتركة يتقدمهم العباس بنفسه حاملاً معوله يضرب به الصخر الأصم.

وانفتحت الطريق..

واتصل الجبل الصعب بالسهل غير السهل.. وحدث إذ ذاك أن امرأة حاملاً جاءها المخاض فأعسرت ويئس من حولها من حياتها فما كاد خبر ذلك يصل إلى عباس حتى أمر بحملها على سيارته وإرسالها إسعافا إلى صنعاء.

وأنقذت المرأة.. وعادت بعد قليل مع رضيعها معافاة، لقد كان محكاً لأفكار عباس، حقاً! لقد أحدث ما يشبه الثورة، اكتشف البادون من المحرومين أن ثمة علاجاً بإذن الله لما يحسبونه قضاءً لا يرد، وإن الطريق كانت هي السبب في الوصول إليه، فاندفعوا زرافات ووحدانا يشقون الطرق، ويمدون العاملين بما يملكون من زاد ولبن. وتحول منزلنا في الصياد إلى شبه مستوصف يستقبل كل يوم مريضاً أو أكثر مرسلاً من العباس تقوم على العناية بهم زوجه الفاضلة وابنتاه المكافحتان ويصبح ابنه البار عبد الله موزعاً بين الوظيفة في وزارة الزراعة وبين قضاء حاجات هؤلاء الذين يرسلهم أبوه. وأشهد أني كنت أزيد في مخصصات العائلة سراً منه. لأنه — رحمه الله — كان قد فرض عليها حياة تقشف صارم، ليوفر ما يتوفر لأعماله. ومن الحق القول: أن الجميع كان يتقبل ذلك راضياً!

ولكم رأينا بأم أعيننا دهشة أولئك القادمين والقادمات لمظاهر المدينة البسيطة في صنعاء من كهرباء وماء يجري في أنابيب إلى المطابخ والحمامات وغير ذلك! ولكم سمعنا النساء — بوجه خاص — اللائي يرهقهن حمل "الحطب" وجرار المياه من أماكن بعيدة كل يوم — يقلن: إذن هذا هو ما يريده لنا عباس الوزير.

وجد المياه شحيحة، فحفر بئراً ارتوازية للماء النقي وشاء الله أن ينبجس منها الماء عذباً نقياً. وإذا بالناس يعمدون إلى حفر آبار للمياه هنا وهناك تقيهم ظمأ الحياة وعنت التعب. وأما هو فقد رأي أفكاره تنبت في الأرض حياة، وفي الناس حماساً وثقة وتطلعاً إلى المزيد..

والتف الناس حوله في ولاء عظيم، فأصلح بين المتقاتلين، ووجههم عوضاً عن الاقتتال إلى استصلاح الأراضي، وشق الطرق، وحفر الآبار، ووضع حجر الأساس لمبنى مدرسة، واستقدم لها معلماً فإذا بها تمتلئ بالصبية الذين توافدوا عليها من كل صوب قبل أن يكتمل البناء، الحمد لله. لقد أصبح العلم مطلباً!

وما زال على ذلك دائباً في الليل والنهار، مع كل نقلة من تنقلاته يقوم "مشروع" أو يتم إصلاح بحقن الدماء، ويؤلف بين القلوب، أو يُسعف مريض. أو يعمر مسجد بالمصلين، أو تعج مدرسة بطلابها. ومع ذلك يحصل ما هو أهم: يتفتح وعي، وتتنور عقول، وتتغير نفوس، ويكتشف الناس قدراتهم، ويتولد بذلك، كله إنسان جديد لمجتمع جديد.

ذلك كان جماع تفكيره.

وذلك كان محصلة أعماله.

وأما هو فقد شعر بالرضا النفسي، والسكينة يتلقى محبة الناس بسعادة، ويتلقف مشاعرهم الصادقة نحوه بولاء حميم لمواصلة رسالته. ولكم أسعدته في

خيمته، هدية عجوز لا تزيد على قطعة خبز أو جرة لبن. وكان يقول لي – إذا صدف أن كنت عنده – هذه أغلى عندي من كنوز الدنيا.

وتسامعت بأعماله القرى والدساكر، فتوافدوا عليه.. لم يكن يملك مالاً يوزعه، ولا سلاحاً يهبه، ولا مناصب يغري بها من يسعى إليه. إنما كان يملك تبتله وصدقه. فيبذل جهده قدوة للمقتدين. ويوزع نصحه فيوقظ الهمم الجامدة، ويحرك السواعد الكسلى، فتندفع – وهو في الطليعة – تحيي الموات، وتحرث الأرض، وتستخرج الماء وتشق الطريق وتبني المدرسة.. وكادت خولان كلها أن تصبح مصدر إشعاع ونموذج حركة، وساد سلام بين القبل وبينها وبين نفسها. وما يسمع بنامة ثأر مشؤومة إلا وهب من لحظته ليسكتها في المهد، وكانت كلمة منه، أو حضور مفاجيء كافياً لتحقيق ذلك. وبدأ يفكر في حملة شاملة على مستوى البلاد لتحقيق مصالحات عامة تنهي قضايا الثارات المزمنة، ومصادرة النزاعات المستمرة بين القبائل. ومن ثم توجيهها باعتبارها وحدات حضارية نحو مصالحها ومستقبلها على نفس الطريقة وفي هدى تجربتها.

وجاءت الدعوات من كل مكان..

وانتقل إلى جبل اللوز، ليشق بجهود الناس وسواعدهم أنفسهم الطريق الصعب، في الجبل الصعب، بالوسائل البدائية من مفارس ومجارف حتى تم لأهل الجبل ما أرادوه بسواعدهم بعد أن أعياهم الانتظار، وأرهقهم التجوال في أروقة حكومة غائبة، طلباً للمساعدة في شق تلك الطريق..

أعقب ذلك بناء المدرسة وهبت الحكومة بقضها وقضيضها لحضور احتفال وضع حجر الأساس، سخية بوعود لم تتحقق أبدا لبناء المدرسة، وذلك في محاولة لخطف البريق الذي أحدثه شق الطريق. ولكن مبادرتها انتهت بنهاية الاحتفال.

وتتابعت الخطوات، بنفس النتائج ونفس الأثر ونفس الرضا النفسي الغامر لفارس التجربة الرائدة وهو ينظر الناس ينسلون من كل حدب يشقون طريق حياتهم ذاتها.. بوعي جديد وعزم مستعاد. وإرادة تبلجت مقاصدها!

وفيما كان يستعد – رحمه الله – للانتقال إلى منطقة أخرى – أحسبها مراد وعبيدة – حدث أن تجدد قتال بين قبيلتين ممن كان قد أصلح بينهما، وجاء الداعي مستنجداً. فانطلق لا يلوي على شيء إلى موقع الاقتتال الذي توقف فوراً بحضوره لكنه شمر ليعرف أسبابه ودواعيه. فأراد أن يقضي عليه من جذوره فأخذ ذلك منه جهداً متصلاً.. لم يشفق فيه على نفسه ولا جسده الذي هده الجهد العنيف الموصول: فأصيب بمرض حاد لم ينفع معه إسعاف، فرجعت النفس المؤمنة إلى ربها راضية مرضية.. ومات رجل المروءة، والشهامة الفروسية، مات عباس الوزير..

عندما عدنا من الدفن، وصلت المنزل في حالة من الحزن لا سبيل حتى الاقتراب من وصفها بين صفوف من المعزين بعد صفوف، وجاء من أقصى الريف رجل يسعى حاملاً صفيحة فارغة، سلم علينا بصوت متهدج وقال: هذه أول

صـفيحة تملأ من أول دفقة من آخر بئر حفرها لنا ومعنا عباس. انبجس ماؤها يوم وفاته، وجئت بها لأرشها على ثراه الطيب عقب دفنه.. وقد فعلت.

هل هناك تحية عرفان، والتفاتة حب. ونفحة وفاء أرق وأعذب من هذا الصنيع الجميل الكريم؟ أما أنا فكأنما انصـب الماء على النفس العطشـى إلى قطرة عزاء ورجوت – في دعاء عميق – أن تغسـل هذه القطرات التي حملها رجل مؤمن من مكان قصـي سـحابه نهاره وليله كل ذنب للفقيد الغالي فيلحقه ربه عز وجل برحمته بالأنبياء والشهداء والصديقين.

كان آخر أعماله – رحمه الله – إصـلاحاً بين الناس، وحقناً لدماء قوم مسلمين، وكانت آخر هدية تصله رشة ماء عذبة من قوم أنقذهم من العطش، ترش على ثراه الندي يوم رحيله.

حياة عباس بن علي الوزير

الأستاذ/ أحمد بن محمد الشامي

لا يمكن أن أنسى لقاءنا الأول –عام ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م– وهو في ريعان الشباب – وكنت في عنفوانه –، ولم يكن لقاءً عابراً، أو عادياً... بل كان لقاءً مُعداً هادفاً، وفي بيت «الصياد» وبحضور المرحوم أخيه الكبير عبد الله بن علي الوزير، ومع مجموعة من شباب «صنعاء» حينذاك، وفي تلك الظروف الحرجة الجادة التي تتوحّم بأحداث جسام، وتُنذر أجواؤها بعاصفة ثورة الدستور (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ).

كان أصغر الحاضرين سناً، ولا أذكر أنه تحدّث، ولكن نظراته البريئة الهادئة كانت تخاطبني بما لم أستطع فهمه أو تفسيره يوم ذاك.

كانت صامتة... ولكنها توحي بأسرار قصة حزينة؛

وكانت بسماته الطاهرة تتبلّج على أسارير وجهه فتملؤ المكان رضىً واطمئناناً... رغم المواضيع المثيرة... التي تتناولها ألسنة الشباب؛ من نقد مرير، وتبرّم ثائر، واستنهاض متحمّس؛ وجدال قد يحتدّ.. فتتوتر أعصاب المتجادلين، وقد

يلين، ويسخر ويتحايل؛ حتى يعود بالمشاعر والأفكار إلى حظيرة الحكمة والهدوء، والتمتع بمضغ «القات» وألحان الشعر والأنغام.

ولا أدري لماذا استرحتُ إلى تلك النظرات والبسمات، وشعرت بالطمأنينة نحو ذلك الزميل الشاب.

ولا أدري لماذا كان لنظراته وبسماته في نفسي حديث صادق عميق؟ وحين أويت إلى بيتي، وخلوت إلى نفسي طفقت أصغي، وبشعور غيبي لا أدري كنهه إلى نجواها: وكأنها مقاطع شعرية من «سيمفونية» إنسانية تروي مأساة شهداء، ومصارع أبطال.

لقد سمعتُ تراتيلها قبل أن يستُبسل الشهداء، وقبل أن يتساقط الأبطال. وكان ما كان... وظلت الأرواح تتناجى، حتى التقينا مرة ثانية، وبعد أن فشلت ثورة الدستور، وتساقط الأبطال والشهداء، وكادت المعتقلات أن تغصّ بأبناء اليمن... التقينا مرة ثانية حين نقلوني مع بعض الزملاء من سجن «نافع» إلى معتقل «قاهرة حجة» – أواخر عام ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م – وإذا به – ورغم كل ما جرى – لا يزال كما رأيته أول مرة رصيناً هادئاً يتمتع بتلك النظرات، والبسمات، التي ازدادت براءة وطهراً، بعد أن صقلتها الأحداث الرهيبة والتجارب المريرة.. وتعانقت نظرات، وبكت بسمات!!

ذلك هو صديقي الكريم السيد عباس بن علي الوزير رحمه الله.

لقد فرح برؤيتي.. أحسستُ ذلك، بل ولمسته في نظراته الحانية، وبسماته الباكية، وشارك زملاءه السرور بانتقالنا من بؤرة «نافع» إلى أعراف «القاهرة»، وركن إليّ، وأخلصت له الود، وبث كل منا الآخر نجواه... ولكنه سرعان ما فارقنا، فقد غادر «المعتقل» لزيارة والدته وإخوته، وأخواته، بعد أخذ ورد طويلين مع «السلطة» على أن يحل محله «رهينة» عنه، شقيقه السيد إبراهيم بن علي الوزير، والذي ما كدت أراه حتى حيّيته بقصيدة مطلعها:

أأشكرُ الدهر رغم الهمّ والألم؟ ... وهل أبشُّ بقلبٍ غير مُبتسمِ؟

وهل يليق بمثلي أن أسرّ بما ... قد كنتُ أحسبه ضرباً من الألم؟

وما جزاء وصالٍ حُفّ موردُه ... بالشوكِ إلا بكاءٌ غير منقصمِ

لكنه الدهر قد جمت غرائبه ... حتى قنعنا من الموجود بالعدم..

ومنها أخاطب إبراهيم:

يا كعبة المجد أنّى.. للغريض بأن ... يُفضي بودّي؛ وودّي غير منكتمِ

وليس ذاك لما أرجوهُ من نشبٍ ... كلاّ؛ ولكن لما أرعاهُ من ذِمَمِ

إن الوفاء لعهدٍ؛ لا يضيّعه ... إلا لئيمٌ؛ وليس اللؤمُ من شيمي

وكان لقاء من نوع رباني.. له في تاريخ حياتي حديث طويل... وشاءت الأقدار أن تضم إلينا الأخوين زيد بن علي، وقاسم بن علي، ومحمد ابن علي «الوزير» وقد هبطوا ذلك المعتقل «العتيد» وهم في عُمر الزهور؛ وكأنما كنت وإياهم

على ميعاد.. لصنع تاريخ جديد.. ولم يكن ميعادنا مع القدر فحسب.. بل ومع العلم والأدب، وقوانين الجهاد، وتعاليم الفداء.. وطوفنا في سماوات المعرفة نستطلع أسرارها، ونستشف خباياها، وأخلصوا أرواحهم للحق والخير والجمال، في كوكبة تضم أفلاذ أكباد اليمن علماً، وأدباً، وإيماناً.

لقاءات المنفى: يمنٌ يحمله معه أينما حلّ

وانفرط العقد؟ وهاجر الأخوان «عباس وإبراهيم» في مغامرة شاقة خلّفا فيها صنعاء عن طريق «بيحان» إلى «عدن» ثم «القاهرة» وفي ظروف مُتعبة قاسية؛ وشاءت الأقدار أن أخرج من «السجن» أُجابه وأداري أفراح الحياة وأتراحها، واستوطنت «الحديدة» سنتين حتى هبّت زوبعة عام ١٩٥٥ م - ١٣٧٤ هـ، وبعثتُ إلى القاهرة؛ وكان لقاء وحوار مع الأخوين «عباس»، و «إبراهيم» ومع الأستاذين «الزبيري» و «نعمان» ومع صديق الجميع المجاهد الكبير «الفضيل الورتلاني»... فصلته في مذكراتي؛ وأحاديثه تستدر الشؤون عبرة وأسى.

واضطربت أمواج الزمن، وألقت بنا زوابع الدهر في مناكب الكون: وتنقل «عباس» رحمه الله.. هنا وهناك؛ يوماً باليمن، وآخر بمصر، وأياماً ما بين «السودان» و «أسمرة» و «روما» و «المغرب العربي».... والتقيت به مراراً في «القاهرة» و «روما»؛ وما جلسنا في حديقة زاهية، أو على ضفاف بحيرة، أو ضمنا مجلس أنس، إلا وأحضر «عباس» «اليمن» لتجلس معنا..! ونظراته البريئة تُهدهد آلامها، وبسماته الحزينة تحضن آمالها؛ لا يمل الحديث عنها، وعما يجب على

أبنائها نحوها، وما كان في الإمكان أن يكون أبدع مما كان في سبيل سعادتها وازدهارها.

وهكذا كان السيد عباس بن علي الوزير، لم أر يمنياً يحب اليمن مثل حبه؛ دائماً يعيش معها؛ وحيداً أو بين الناس، بين أهله أو غريباً في الآفاق؛ ودائماً يحاول أن يعمل شيئاً من أجلها، وقد أكرمه الله فعمل لها الكثير؛ وكان أصدق المجاهدين والمضحين.. في وقت ضعفت فيه دوافع الجهاد، واضمحلّت مشاعر الفداء؛ فهجر المدينة، ورمى بمغريات الراحة والرفاهية، ومظاهر الجاه والسلطة جانباً... وذهب بين إخوانه الفلاحين عاملاً، صابراً، ومصلحاً، ومرشداً.

حكاية الطبيب النفسي: حين صار الطبيب هو المريض

وإن أنس لن أنس حين مررت من «بيروت» وكنت في طريقي إلى «دمشق» قبل قيام «الوحدة» و «الاتحاد» بين «مصر» و «سوريا» و «اليمن» ورغباتها تتمخض..! وعلمتُ أنه نزيل إحدى المستشفيات؛ فذهبتُ لزيارته؛ وقد استقبلني بنظراته البريئة، وبسماته الحزينة – كالعادة – وسألته عن صحته وماذا يشكو؟ وأجاب: قالوا عندي مرض نفسي؟ قلت: وهل زارك طبيب وماذا قال؟ وهل وصف لك دواء؟ قال: قد أوصل الأخ الدكتور «عدنان ترسيبي» لمعاينتي طبيباً قال إنه أفضل طبقته في علم النفس وأمراضها.! قلت: وماذا جرى؟. قال – باسماً – لقد جلس الطبيب معي نحو ساعة، وسألني عدّة أسئلة تدور حول ما جرى لي في حياتي من أحداث.. ثم ضحك ضحكة ساخرة ذكرتني بماضيه الأليم.! قلت ثم

ماذا؟ قال: أجبتُ عليه بصراحة؛ ولم أكتم عنه شيئاً... فحين سألني عن والدي – مثلاً – قلت له أنه قُتل في «حجة» عام ١٩٤٨ م؛ وأنني كنت معه في المعتقل حين أخرجوه ليقتلوه صبراً؛ وأنه قد ودّعني باسماً شجاعاً وأنني عشت بعده في السجن مقيداً حزيناً لا أعرف عن بقية أهلي شيئاً...

وسألني عن «البيت» و «الأم» و «الأخوة» و «الأخوات» و «الأقارب»، وأين كانوا حين استشهد والدي؟ فقلت أما البيوت فقد هُدمت؛ وأما الأموال والممتلكات فقد صودرت ونُهبت، وأخي أحمد سُجن، وأخي عبد الله شرّد إلى «الهند» فمات هناك كئيباً غريباً، وأمي وإخوتي وأخواتي الصغار تُرِكوا فريسة للحرمان، والقهر، والأمراض، وأما الأقارب من أعمام وأخوال فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.. فقال ماذا تعني؟ قلت: بعضهم قد قُتل وبعضهم كُبلوا في السجون؛ ومنهم من شُرد في الآفاق وقد صودرت ممتلكاتهم وهُدمت بيوتهم أيضاً.. واندهش الطبيب... ثم قال بصوت يرتجف: أما الآن فأنا نفسي المريض يا سيّد عباس..! وأظن أنني في حاجة ماسة إلى زيارة طبيب نفساني.. وودّعني دون أن يصف لي دواءاً، ولم أره بعد ذلك.. وقهقهتُ عجباً، وضحك من الأعماق. واستعدنا بعض الذكريات، ولم ننس أن نتصوّر ما كُنّا نخشاه على «اليمن»، وما نرجوه لها من خير، وقال وإلى أين؟ قلت إلى «دمشق» أحمل رسالة خاصة من «الإمام أحمد» إلى الرئيس «شكري القوتلي» قال باسماً: "هيا عيّن الله"!..

في ميدان العمل والجهاد: مع الفلاحين والبسطاء

وهبّت عواصف عام ١٩٦٢ م – ١٣٨٢ هـ؛ وذهب كلٌ في سبيله المعلوم، وكان لقاء وكان فراق، وكان اختلاف، وكان اتفاق. لكنه ظل على كل أحواله المؤمن المثابر، والوطني الصادق، يحزّ في نفسه ما اعترى أمته من تمزّق وما داخلها من الانحلال، وما أصاب أخلاق أبنائها من التسفّل والخضوع للمادة والتمرّغ في أوحالها. وما فتئ يدعو إلى ما يراه حقاً بالحكمة، ولا يجادل إلا بالتي هي أحسن.. حتى بلغ به إخلاصه لربه ووطنه حدّ الهيام والتصوف؛ فعاف مظاهر الحياة الدنيا، وفضل عليها خشونة العيش بين الفقراء، يواسي المنكوبين، ويُصلح بين المتخاصمين، ويهدي الحائرين، ويفتح المدارس، ويشق الطرقات، ويستصلح الأراضي البور، ويشارك العمال عيشهم ونومهم، وآلامهم وآمالهم، صابراً راضياً لا يرجو جزاءاً ولا شكورا؛ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، حتى وافته المنية مُطمئناً مَرضياً.

إنها صفحة نادرة في تاريخ اليمن الحديث تلك التي خطّها السيد عباس ابن علي الوزير رحمه الله بعمله الصامت، وجهاده المثابر؛ إنها تذكر بعمل بعض من قرأنا عنهم في كتب السِّيَر من الأبرار والمخلصين؛ وكنا لا نكاد نصدّق ما يُروى عنهم... استعظاماً؛ حتى جاء «عباس» فأحيا ذكراهم سلوكاً وعملاً؛ لم يكن يطلب جاهاً، ولا منصباً، ولا أمارة، ولا مالا... بل إنه قد أنفق ماله وبذل وجاهته من أجل الإصلاح، وفي سبيل إغاثة المظلومين، وسعادة المحرومين؛ ولقد حقق المعجزة في نظر البعض... ولكنه – في نظري – لم يزد على أن نصر «الإنسان المسلم» وأكدّ أنّ الله قد فطره على الخير، وفضله على سائر الخلائق، وكرّمه تكريماً.

الوداع الأخير وإرث الأمل

وأما آخر لقاء بيني وبينه فقد كان في «لندن» صيف عام ١٩٧٩ م (١٣٩٩ هـ) حين زارها للاطمئنان على صحة ابنته؛ ولقد تكرّم بزيارتي إلى مدينة «برومليي»؛ وكأنه كان يودّعني؛ متوّجاً بحنانه ولطفه وبشاشته صداقة ثلث قرن.. لقد تحدثنا حدديثاً شيقاً ممتعاً مبللاً بالدموع... وطوينا السنين القهقرى نحلّل الأحداث، والأسباب والمسببات؛ وقد أكبرتُ فيه صفاء الرؤية، وشجاعة الإخلاص، وتواضع التضحية، وأعجبني إدراكه المستبصر للأدواء التي يعانيها مجتمعنا اليمني؛ ولقد قال لي: ان على كلّ من يريد أن يخدم بلده أن يعرف ويعترف بواقعها المرير، ويفهم أن التخلّف والجهل هما المشكلة الأساسية التي تكمن وراء كل كارثة حلّت باليمن، ومن أهم عوامل تمزّقها وشقائها، وأنه ما لم ينزل العارفون القادرون من رجالاتها إلى ميادين العمل جنباً إلى جنب مع أبناء الشعب في الحقل، والشارع، والمسجد، والمصنع، والمدرسة... فلن يستطيعوا أن يخدموها بشيء... وقال لي أن ذلك سهل ومتيسّر، ولا يكلّف شططاً، وأن أبناء الشعب اليمني سريعو الاستجابة الى دعوة الخير والاصلاح، ويريدون التخلّص من آفات الجهل والفقر والتخلّف التي يكابدونها، ويحرصون على تطوير انفسهم وأرضهم ومجتمعهم إلى أسمى درجات الكمال، وأنّ فطرة الهدى والسماحة، والكرم والشهامة وحُب العمل أصيلة فيهم؛ يحبون من يساعدهم، ويرشدهم إلى سُبل السعادة والأمن والاستقرار؛ وضرب لي أمثلة حية... مارسها بنفسه خلال السنوات التي عاشها بين «القبائل» زميلاً

مثابراً، ومرشداً متواضعاً. يشاركهم السراء والضراء، دون منٍّ ولا أذى، ولا كلل ولا ملل، ولا ضيق ولا تبرّم.

ولد عباس بن علي الوزير سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م بتعز عندما كان ابوه عليها «أميراً»، وقد تيسّر له ما يتيّسر لمثله حينذاك فدرس القرآن وجوده، وتفقه في الدين، وعلوم العربية، واكتنفته الشدائد التي صارعها أبوه حتى تنمرت له احفاد الحسّاد فصابرها بعزم وحزم وإيمان وقد نشأ «عباس» تلميذاً نجيباً للأحداث الجسام، وتقلبات الدهر نُعمى وبؤسى، وتعلّم من «السجون» ومعاشرة الزملاء فيها.. على اختلاف مشاربهم وافكارهم الصبر والمثابرة، والتغاضي والاحتمال، وقد مارس أعمالاً شتى بأمانة وقوة حتى تحمّل - تلقائياً - مسؤولية الاصلاح فأدّاها خير أداء، وبأسلوب جديد، وطريقة عملية فذّة.. يتعانق فيها أمل الجد والتضحية، وإيمان الاخلاص والطموح... فيتلاشى اليأس من القلوب، ويتبدّد الضعف في النفوس، وتُحيّ الهمم وتتنافس تحت شعار الأخاء والمساواة في الحقوق والواجبات.

انها سنة حسنة سيظل اليمنيون يذكرونها بالتمجيد والاكبار. ويقولون وهم خاشعون: هذه سنة عباس الوزير.

رحم الله عباس يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً...

لقد بكته اليمن - كل اليمن - وادرك جميع ابنائها فداحة الخسارة فيه، وأحسوا جميعاً ألم افتقاده على تفاوت المذاهب والميول؛ ونظرة واحدة إلى أسماء من شاركوا في تأبينه، والتعزية بوفاته، والبكاء عليه شعراً ونثراً؛ تؤكّد أن أبناء اليمن جميعاً

كانوا يرون فيه المثل الحي للمواطن الصـــالح... ولذلك فان خير ما يعمله محبوه لتخليد ذكراه. أن يتخذوا من سيرته وسلوكه قدوة يحتذونها.. وعسى – رحمة من الله وإكراماً للفقيد – أن توحّد ما تفرّق من الأهواء، وان تجمع ما تشـتت من المذاهب فيتواكبُ الجميعُ مخلصـين؛ في مسـيرة الأمن والسـلام، تحت لواء المحبة والمسـاواة؛ داعين إلى العزة والحرية والعدالة الاجتماعية، وذلك ما ظلت اليمن – كل اليمن – تتوخاه وتتطلع اليه وترجوه، وقدّمت من أجله الضـحايا. يتوهجون ويُطفئون كأنهم سُرُجٌ بمعترك الرياح الأربع.

إنني أتعشم أن موت «عباس الوزير» في ميدان العمل والاصلاح سيقع ببلاده اليمن التي أحبها حباً جماً وأخلص لها جُهد الاخلاص، وكأن الله قد أراد – حين استأثر به دوننا – الخير لليمن؛ كي يعتبر أبناؤها فيصنعون من موته حياة... وكأني بهم وقد نفضوا هموم الحزن وهرعوا إلى ميادين العمل والاصلاح ولسان الحال ينشد: كلنا في الخير عباس الوزير.

رحم الله عباس الوزير.

كان لطيف المعشـــر، حُلو النكتة، خفيف الظل، يحب المزاح البريء الذي يغمر مجلســه بالمرح، وكان صــبوراً كريماً، وكان شــجاعاً حليماً، وكان يكره الرياء والنفاق، والمحاباة والمداحاة؛ ولكنه كان شديد الحياء... سليم الفطرة، يحب الرحمة، باراً بأهله وأخوانه واصـدقائه، يحثهم على معالي الامور، ومكارم الاخلاق، لا ينطق العوراء، ولا يعرف البذاء لقد كان إنساناً بكل ما في الكلمة من معنى:

الجرح في عباس لن يندمل بسهولة،

وفقداننا له سيطول ويطول،

وخسارة اليمن فيه لن تعوّض.

فيا سحابة الرضوان.. طوفي على قبره واسكبي عليه دموع الحنان.

وأنتِ يا جبال اليمن.. أوبي مع شفق كل غروب، وألق كل صباح،

واندبي صاحبك الأوّاه المنيب مع النادبين.

ويا نجوم الليل.. كم سامرتك صلوات عباس! وكم أشجتك تضرعاته!

فهلاً ذرفت دموع الأسى مع الباكين...؟!

وأنت يا سجون الأحرار، ويا أكواخ الفقراء، ويا محاريب الزهاد؛

لقد عاش «عباس» لك وفيك فصلي وسلمي عليه؛

ويا أمته الحزينة سيري في درب الكفاح والجد والفداء كي تحققي

ما كان يريده لك من خير وسعادة.

ويا رفاق العمل... خذوا المصباح وشقّوا بنوره الدياجي.

ويا أهله وبنيه وإخوانه عزاءاً جميلاً

ويا إبراهيم... يا أخي إبراهيم.. صبراً.. صبراً.. ويا دموعي... كفى؟

يا أيها العباس... ما زلت هنا معنا

الشيخ/ حميس بن احمد القاضي

منذ أن رحلت، والكلمات تخونني كلما حاولت أن أكتب عنك. ليس لأنك بعيد عن الذاكرة، بل لأنك أقرب من أن تُختزَل في سطور. أتذكرك الآن، فأجدني أعود إلى تلك الأيام في خولان، في السهمان، حيث كنتَ تمشي بين الناس لا كسيّدٍ أو وجيه، بل كأخٍ حنون، كصديقٍ يحمل همومهم في صدره قبل أن ينطقوا بها.

لم أرَ يمنيًا يحب وطنه وشعبه كما أحببتَهم أنت. كان حبك يسكن ضلوعك، يتنفس معك، حاضرًا في الغربة كما في الوطن. لم تكن وطنيًا بالكلام، بل كنتَ وطنًا يمشي على قدمين. هجرتَ المدينة ورميتَ مغريات الراحة والسلطة خلف ظهرك، واخترتَ خشونة العيش في أرض خولان، تأكل مع الفقراء "القرم" –مخبوز يمني تقليدي– بعد حياة الرفاهية، وتشارك العمال نومهم وآلامهم، صابرًا راضيًا لا ترجو جزاءً ولا شكورًا.

أتدري ما الذي كان يدهشـــني فيك؟ تحمّلك. نحن أبناء خولان، نعيش فيها ولا نستطيع أن نبلغ شيئًا من تحملك. كنتَ صلبًا كجبالها، رقيقًا كنسمات وديانها. كم من بئرٍ حفرتَ لتروي عطش الناس! وكم من طريقٍ شققتَ لتصل القلوب قبل الأقدام! كنتَ تعمل بصـــمت، وكأن يديك تعرفان أن الخير الحقيقي لا ينتظر تصفيقًا.

أما في الإصـلاح بين القبائل، فكنتَ سـيّد الرجال. أتذكر آخر ما قمتَ به، ذاك الخلاف بين الســـهمان وبني ضـــبيان؟ كنتَ تنتظر في العقبة، تحدثني عن أحلامك، عن مسـارات الحل. كانت وجاهتك مقبولة، ورأيك مسـموعًا، لا لأنك تفرض نفسـك، بل لأن القلوب أحبّتك فأطاعتها. قيل لك يومًا: "يا سـيد عباس، لولاك لملأت الدماء أركان خولان". وصدقوا، فقد كنتَ تحقن الدماء وتجبر القلوب، مهما اشتدّت الخلافات.

راهنتَ دائمًا على كرمهم وشـــهامتهم، وتوسمتَ فيهم الخير. أردتَ أن تخرجهم من دائرة الصـراع والدماء إلى رحاب التعليم والنور. أتذكر يوم قلت لي إنك تريد أن تأتي بمدرسـين؟ أردتَ إخراج خولان من إطار الجهل، وكنتَ على الطريق المسـتقيم لتحقيق حلمك. حتى إن أخاك القاسم جاء يزورك، لتتسع دائرة الاهتمام والعطاء. وعندما وشـــى بك الحاقدون للرئيس الحمدي بأنك تريد الإمامة، قال كلمته المشـــهورة: "اعملوا مثل ما يقوم به، ويمكنكم أن تكونوا أئمة". هكذا كان نقاء سريرتك، يفضح حسد الحاسدين.

قبل أن ترحل، بثلاثة أيام رأيتُ رؤيا. كأننا نمشي في وادٍ، وكنتُ خائفًا عليك. ثم ناداني أحدهم: "يا حسين!"، أجب العباس، وصلتُ إليك، والغيل يجري إلى جانبك، والورود تحيط من الجانب الآخر. أمسكتَ بيديك على يدي... ثم رحلت.

رحلت قبل أن تكتمل الصورة التي رسمتها، وقبل أن ترى ثمار غرسك كاملة. لكنك، يا صديقي، لم تمت. ما زلتَ تعيش في وجدان خولان الجيّاشة، في دعوات الفقراء، في كل طريقٍ مشيتها، وفي كل بئرٍ فجّرتها.

أكثر من أربعون عامًا مرّت، وما نسوك، ولن ينسوك.

سلامٌ عليك يا عباس، يا أصدق المجاهدين وأسبق المضحّين. ما زلت هنا، بين ضلوعنا، لم ترحل.

مَوْتُ نَهْرٍ عَظِيم

الأستاذ/ زيد مطيع دماج

أيموت نهر عظيم فجأة..؟!

حدث ذلك فجر يوم الخميس ٣/١/١٩٨٠م !...

نعم مات المناضل الكبير الشهيد عباس بن علي الوزير...

رحماك أيها القدر القاسي كيف اخترته مع اطلالة القرن الهجري، وبداية العام الميلادي الجديد.؟

ألم يكن باستطاعتك أيها القدر القاسي أن تختار من حثالة الخلق عشرات بل مئات وألوف ممن يأخذون من الحياة ولا يعطونها شيء...؟!

كيف هويت أيها القدر القاسي بذلك الصرح الشامخ وهو في الخمسين من عمره قضاها مناضلاً ومكافحاً ما بين حبس وتشرد وقطع رؤوس ونضال وطني مرير...؟!

حزني عليه قد ينبعث من خلفيات التاريخ الوطني لليمن...

لكن حزني الأعظم عليه أنه كان إنساناً كاملاً بما تشمله الكلمة من معنى...

عربي قديم... يطل من سبر تراثنا وحضارتنا العربية الأصيلة...

الكرم... الشهامة... التواضع... الأصالة... النخوة...

الصـــبر... الجلد... العراقة... القلب الذكي... الصـــارم... الأنف الحمي.. الخ....

كان يمثلها رحمه الله...

رحمك الله يا «عباس» أيها العربي الأصيل...

وعزاءنا آل الوزير في فقيد اليمن والعروبة والاسلام...

وإنا لله وإنا إليه راجعون...

فَقْدُ حبيب

الأستاذ/ محمد الوزير

دقَّ جرس التلفون في ساعة مبكرة في ذلك اليوم (١٣ صفر ١٤٠٠ هـ).. كانت الساعة على ما يبدو الرابعة بعد منتصف الليل.. الهدوء شامل... كنت مستغرقاً في النوم بعد نهار مرهق بالعمل. إضافة إلى عشاء مع بعض الضيوف في أول الليل. استيقظت وأخذت سماعة التلفون وقلبي واجف حزين، كمن يتوقع خبراً سيئاً...

في الطرف الآخر كان صوت موظف السنترال يقول لي: تكلم مع صنعاء. ازداد خفقان قلبي وعدت إلى الحديث الذي دار بيني وبين أخي قاسم الذي تكلم من صنعاء وطلب إلينا إعداد بعض الترتيبات لاستقبال أخي الأكبر عباس في إحدى المستشفيات هنا، فقد كان يعاني من مرض أرهقه، وانساب صوت أخي قاسم على التلفون مشبع بالحزن والتعب، سمعت الصوت الحبيب يقول لي يا أخي لا تعملوا أي ترتيب فالدكتور عاد وألغى الموافقة على سفر أخي عباس لعدة أيام قادمة. وسأتصل بكم مرة أخرى خلال ساعات.

أعدت سماعة التلفون وأخذت الهواجس والذكريات يشوبها القلق..

كرم أخي عباس وجهاده المبكر

تتزاحم. صور كثيرة ومواقف تتراكم دونما تنسيق أو تنظيم، شعرت أن في الأمر شيئاً وأن حالة أخي عباس خطيرة جداً وأن أخي قاسم يريد أن ينقل إلينا خبر هذه الخطورة بالتدريج، كان هذا أسلوبه الرصين والهادئ في معالجة الأمور. قفزت إلى ذهني صورة أخي عباس، معتدل القامة، بهي الطلعة، مبتسماً دائماً للغريب، صفات كثيرة لا يستطيع أن يحصرها الإنسان وأميزها كرمه غير المحدود يعطي ولا يخشى الفقر، إنه حقاً مقيل العثرات لكثير من الأسر والأرامل. أخي عباس الذي انعطفت حياته إلى مسيرة الجهاد باكراً حيث كان عمره تسعة عشر عاماً عندما اندلعت ثورة ربيع الثاني ١٣٦٧ هـ. لم تصمد هذه الثورة فقد فشلت بعد ثلاثة أسابيع وسيق زعماؤها مصفدين بالأغلال إلى مدينة حجة إلى الشمال الغربي من صنعاء والتي تبعد حوالي ٨٠ كيلو متراً، حيث وزعوا على ثلاثة سجون. كان العباس من ضمن هذه القافلة... سكن السجن وأخذ يودع الزعماء الذين اختيروا للإعدام.: الإمام عبد الله الوزير، السيد زيد الموشكي، محمد بن محمد الوزير، عبد الله بن محمد الوزير، الأستاذ أحمد الحورش، الشيخ محمد بن حسن أبو راس، الشيخ عبد الوهاب نعمان، وغيرهم وغيرهم كثر. إلى أن وصل الحارس ذات صباح ونطق باسم والدنا الشهيد علي بن عبد الله الوزير وكان أخي عباس بجوار والده فقام سريعاً يساعده في

ارتداء ملابسه. الصمت يلف المكان، لم يدر حوار كثير، كان الشهيد يتلو آيات القرآن، ووجهه منير بقرب لقاء العبد لخالقه.

لحظة الوداع: وصية الأب بأن يكونوا رجالاً

عند باب الغرفة الضيق يقف الأب ويتطلع إلى ابنه اليافع وكان مطرقاً إلى الأرض، يقول الأب لابنه إلى اللقاء وكن أنت وإخوتك رجالاً. يا الله ما أعظمها من لحظات، وما أروعها من توصية، ووالدنا لم يطلب منا شيئاً طلب منا أن نكون رجالاً، لم م يدرك أخي عباس هذه الكلمة إلا بعد فترة، بعد أن فكر فيها ملياً...

غاب الوالد عن ناظره وراء إكام «حجة» القائمة يصحبه الشهيد الخادم غالب الوجيه. وبعد فترة قصرت أم طالت، لا يذكر، سمع صوت الموسيقى.. تعزف لحنها الحزين. إيذاناً بانتهاء إعدام الشهيدين. وكانت هذه عادة الحكم في ذلك الوقت تعزف الموسيقى فرحاً للحاكم لأنه تخلص من أعدائه.

شعر أخي عباس بغصة وبفراغ موحش لقد أيقن أن والده ذهب إلى غير رجعة، بعد نضال طويل وترك وراءه تراثاً كبيراً، ومسؤوليات جسام، شعر أنه لا بد أن يتحملها بكتفه اليافعة الغضة. والدته وأخوته لا يعرف إلا الشيء القليل عنهم. أخوته الصغار إبراهيم وزيد وقاسم ومحمد وشقيقاته تركوا «صنعاء» في ركب حزين إلى قرية «السر» خارج صنعاء. وهناك منعوا من التحرك خارج القرية، ولا يعرف خبراً منهم ولا أحوالهم. أمه الحنون ما زالت في مدينة «المحويت» حيث لم يؤذن لها بأن تلتحق بأولادها. جسيم ذلك الأمر وعظيم.

في غياهب السجن: لقاء الأحبة وتحويل السجن إلى جامعة

وتمضي الأيام سريعة ويظل العباس في السجن وأخوته يكبرون، ويشتد به المرض في سجنه فيؤذن له بالذهاب إلى صنعاء وهناك يلتقي لأول مرة بأمه وإخوته وزوجته وابنه الذي ولد وهو في السجن وازدادت نظراته تصميماً ووجهه صلابة لم يكن ليكتم عنا تصميمه على مواصلة مسيرة والدنا قال لنا: هذا قدرنا! لا بد أن نكون رجالاً كما أراد لنا والدنا رحمه الله. والدنا كان يقصد بالرجولة الصمود على المبادئ: الشهامة النجدة، التضحية، الوقوف مع المستضعفين والمحرومين، التمسك بأهداب الدين والتحلي بالخلق والتواضع، كل الصفات التي يفتقدها عالم اليوم الغريب الموحش. فهذه القيم الآن أصبحت تهمة لصاحبها تؤدي به إلى مهالك الطريق، أخذت هذه المعاني تنغرس في عقولنا وتنمو. كان الليل قائماً ومظلماً، والتخلف الشديد يسانده الجهل مخيم على اليمن، ولكننا لم نأبه لذلك لقد التفت حولنا العزلة وحوصرنا من جميع الجهات. قاطعنا الأصدقاء واستضعفنا الأعداء وسخر منا المذبذبون فلم يزدنا ذلك إلا تصميماً على مواصلة الجهد للوصول إلى الغاية، نعم كنا نشعر أننا أكثر قوة مما كنا قبل الثورة. كنا نقابل العزلة بالتواضع لعامة الشعب وتفهيمه معنى الكرامة ومعنى الانحراف عن المبادئ التي يتشدق بها الحاكم ويخالفها فعلاً، ازورار الأصدقاء كنا نقابله بالفهم لظروفهم وبالتسامح، سخرية المرجفين والمنتفعين كنا نقابلها بالتعالي وبإظهار المعارضة لهم ولمن يمثلونهم.

أعيد أخي عباس إلى السجن وكان أخي إبراهيم قد سبقه إليه رهينة عنه ولم يبق إلا نحن الصغار، ساورهما الخوف من بقائنا خارج السجن دون مشرب فعملا جهدهما لإدخالنا السجن، فأذن لنا بزيارة أخي إبراهيم في سجن حجة، كان ذلك تدبيراً بارعاً من أخي حيث التقينا هناك في السجن بعلماء ومناضلين أولونا رعايتهم فتعلمنا على يد العلامة السيد أحمد الشامي، والقاضي عبد الرحمن الأرياني، والسيد أحمد بن محمد الوزير، والأستاذ أحمد المروني وغيرهم ممن ضمهم السجن. ازدادت الأمور لدينا وضوحاً والرؤية اتساعاً. كان حرص أخي إبراهيم قائماً على معنى الرجولة، كنا صادقين مع الجميع لا نحمل غلاً ولا حقداً ولا نهدف إلا إلى الخير وإلى مواصلة العمل للتحرر من القهر والسيطرة، كان سجن حجة يضم الكثير من الناس من العلماء والأدباء.

استطاع المساجين في سجن القاهرة أو «قاهرة حجة» – وهي مجموعة أبنية أرضية وبناء واحد مرتفع محاط بسور بداخله برك للماء ومسجد –، استطاعوا أن يحولوا هذا السجن إلى مدرسة فأخذ الجميع يقرأون ويطالعون وأخذت كتب مهمة تتسرب إلى السجن مثل قصة الفلسفة لأحمد أمين، وإعجاز القرآن ووحي القلم للرافعي، والرسالة وقصة الأدب العربي للزيات والبواكير الأولى من كتب سيد قطب إلى جانب تدريس مبادىء اللغة الانجليزية والرياضيات، وعلوم الهندسة. تحول السجن إلى جامعة مصغرة فكان هناك تقسيم للدراسة ومواعيد وأساتذة وندوات، وجوائز فبرز أدباء وشعراء في هذا الجو المشبع بروح العلم والتطلع والأمل نشأنا وبجوار مقابر الشهداء من آبائنا وأعمامنا وأخوتنا درجنا في حقول الجهاد تربينا.

وبعد فترة نقل أخي إبراهيم إلى سجن القلعة في صنعاء العاصمة حيث ضمه السجن هو وأخي عباس وبقينا نحن الصغار في قاهرة حجة، وبعد فترة وجيزة نقلنا إلى سجن آخر هو عبارة عن بيت في وسط المدينة. لأن السلطة شعرت بأن بقائنا في قاهرة حجة مع بقية الركب يشكل خطراً عليها.

كنت في ذلك الوقت صغيراً لا يتجاوز عمري الحادية عشر وكنا جميعاً في السجن: عباس وإبراهيم في سجن القلعة في صنعاء وزيد وقاسم وأنا في سجن بيت عباس في –حجة.–

شعر الملك أحمد بالحرج بعد تدخل بعض العلماء والاحتجاج عليه بأن العائلة كلها لا يوجد معها رجل يهتم بشؤنها، وبأنني صغير لا أشكل خطراً ولا أعي ما يدور حولي، فسمح بخروجي من السجن حيث وصلت إلى صنعاء. وفي اليوم الثاني زرت أخي عباس وإبراهيم في السجن فأطلعاني على خطة الهروب إلى خارج اليمن مؤقتاً والعودة لاستئناف النضال حتى نصل إلى إقرار الحق وإبطال الباطل، كان أخي عباس يهمس في إذني تفاصيل العمل وكأنه يخاطب شخصاً ناجحاً، لقد عجبت منه ولكنني لم أجرؤ أن أسأله أو أستفسره في بعض النقاط التي غابت عن ذهني، كان سجن القلعة أكبر من سجن حجة مليء بـــ خليط غير متجانس من المساجين ففيه الأطفال والمجانين والسياسيين، موضوعين في أماكن منفصلة طويلة ليس لها نوافذ ولا تغلق أبوابها في الليل أو النهار، يحيط بهذا السجن سور مرتفع جداً ويحرسه عساكر لا يعتقدون أنهم خلقوا إلا لهذا الغرض.

كانت الأمور تمشـــي على خير ما يرام وكانت والدتنا متفهمة لهروبنا بل ومحرضة له، فقد طفح بها الكيل.

خطة الهروب الجريئة: تدبير الخلاص من الأسر

كان الهدف الرئيسي لنا هو إشعار السلطة بأننا لم نضعف ولم نستكن وكان ألمنا كبيراً عندما يترامى إلى أذهاننا أن الســـجانين بدأوا يشـــعرون بالراحة ونشـــوة بالنصر بإخضاعنا، وبأننا استسلمنا وأننا سنقنع بالحياة التي يرسمونها لنا، كان هدفنا كسر هذه التصورات وإبطالها، ومن ثم الانطلاق في مسيرة جديدة متصلة بالأولى متممة لها.

وكانت الخطوة الأولى هي إخراج الأخوين من الســـجن، وبعد المحاولات المستمرة وجدنا أن الهروب من سـجن القلعة مستحيل وإذا نجح فإنه لن يتيح لنا وقتاً كافياً للخروج من المدينة المسـورة والتي تغلق أبوابها بعد المغرب بسـاعة واحدة، وكان التفكير في الخروج من القلعة أثناء النهار أمراً غير ذي جدوى.

بدأنا في اتجاه آخر تماماً، طلبنا إخراج أخي عباس من السجن إلى البيت على ألا يغادره، أي يبقى في البيت تحت الإقامة الجبرية، وبعد مراجعات كثيرة وتدخل أشخاص لهم علاقة بالسلطة تم لنا ذلك بعد جهد جهيد.

عندها بدأت المرحلة الثانية وهي إخراج أخي إبراهيم الذي كان مريضـــاً من السجن، فألححنا بطلب إخراجه وقد تم لنا ذلك بعد مجهود آخر ووافق الإمام على خروجه إلى المستشفى تحت الحراسة وعلى أن يظل تحت الرقابة هناك.

اكتملت الخطة وعينا يوم الانطلاق. كان التوقيت بين صلاة المغرب والعشاء، خلال ٣٥ دقيقة وكانت الخطة تقضي بخروجي من البيت مع أخي عباس وإرسال شخص إلى خارج المستشفى لمرافقة أخي إبراهيم إلى نقطة التجمع خارج السور الشرقي، وإزاء باب المدينة القديم «شعوب» تم ذلك في يسر وسهولة. وبعد العشاء بنصف ساعة كنا ننطلق مع رفاقنا على ظهور الإبل السريعة متجهين شرقاً، كان الليل جميلاً وساكناً وكانت القرى التي نمر بها تغط في نومها. لم يعترضنا أحد ولم نقابل أحداً، حتى قوافل الجمال القادمة من مدينة مأرب المحملة بالملح والحطب لم نقابلها تلك الليلة المباركة. وبعد ثلاثة عشر يوماً وصلنا إلى بيحان مخلفين ذهولاً شاملاً للسلطة في -صنعاء.-

في خضم التحولات: منافي المنفى والبحث عن طريق ثالث

كانت رحلة طويلة أخرى اجتزناها وكان أخي عباس صابراً متسامياً ولم نلق ما كنا نتوقعه من المعارضة في الخارج؛ مررنا بمراحل مرّة، كانت الحياة صعبة ومريرة، حياة جديدة ومجتمع جديد، لم نكن نألفه، في وقت كانت التغييرات في العالم العربي تكسر صمته ورتابته، وقت قلبت فيه كل الموازين وأخرجت المبادئ، ورفعت الشعارات على غير ما كان التطبيق العملي لها. كانت الأفكار كثيرة؛ الشيوعية، القومية، الليبرالية، الاشتراكية الدولية، الاشتراكية العلمية، الاشتراكية العربية، أفكار وأفكار لا يعرف الإنسان جذورها ولا مراجعها، وكانت الجماهير متحمسة رغم

تدهور أحوالها سنة بعد سنة، كان الناس مسحورين بالكلام لا يلتفتون إلى المنجزات المحسوسة التي لم نكن نراها أو نتذوقها.

لم يجرفنا التيار إلى حافة الهاوية ولكننا لم نسلم من بعض قطراته، وكانت أحلامنا تنحصر في اليمن وكنا نعرف أن هذا الدوي لا ينفعنا في شيء، وبدأ الغبش ينقشع.

تلمسنا طريقنا ورأينا أن الرجوع إلى اليمن هو المنطلق. عاد أخي عباس إلى اليمن وخرج مرة أخرى إلى عدن يناضل ويناور وكان كما عهده من عرفوه صلداً صامداً بعيد النظر. ملتهب المشاعر إزاء مناظر البؤس والحرمان لشعبه، كان منفتحاً على العالم الإسلامي الفسيح، في آماله وأحلامه تنسيق الانطلاق لوحداته، كان يقول لو نجح الحق بمعناه الإسلامي لعم الجميع وأعطانا راحة حيث سيكون المنهاج واحد والهدف واحد. ونحن لا يهمنا الوصول إلى الحكم ولكن ما يهمنا النهج ومفهومه للعدالة والحق. نحن مع الضعيف حتى نأخذ له الحق، نحن معه في حاجته وعوزه نقدم ما استطعنا، حتى مجرد الابتسامة فهي صدقة كما قال الرسول الأعظم.

كان بعيداً كل البعد عن النظريات يميل إلى العمل والعمل الدؤوب الجاد. أبعد ما يكون عن حب الظهور وإحاطة نفسه بدعاية أو مدح. كان يكره هذا كله ويميل إلى العمل الصامت. لم يكن يهمه في هذه الحياة إلا الحق وعمله والبر بالناس، بالمرأة المسنة والطفل اليتيم والشيخ المدنف، كم من الصفات كان يتحلى بها الغائب

العائد إلى ربه مقدماً أعماله الجليلة في هذا الزمن الذي خفت موازينه ووهنت قيمه وندرت شهامته.

رؤية لإنقاذ الوطن: رفض التدخلات الخارجية وكشف التضليل

قامت حركة الضباط عام ١٩٦٢ وأحدثت الحركة تغيرات كبيرة في اليمن واندفع عبد الناصر بجيش ضخم لمحاربة القبائل وقادتها من المشايخ وآمراء آل حميد الدين، ودفع الطموح بعبد الناصر إلى العداء السافر للمملكة العربية السعودية التي ردت بدعم وتسليح القبائل المناوئة للمصريين واختلطت المفاهيم وضاعت المبادىء التي رفعت. وشعرنا أن استمرار هذه الأحوال وتصرف الجيش المصري الذي كان يجهل اليمن كلها، أرضاً وإنساناً، وتاريخاً وتقاليد، مما أدى إلى الكراهية المطلقة له من قبل اليمنيين. وأخذت الفئات الملكية تستخدم النفور من المصريين لصالحها ولصالح عودتها، كان الجو مخنوقاً وسيطرة عبد الناصر شاملة على مستوى العالم العربي وقضيتنا مهددة بعودة الحكم السابق الذي كان حارساً أميناً للتخلف والجهل، لم نستطع صبراً على الرعونة والارتجال والظلم تحت شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب رفعها الوجود المصري في اليمن، ولم ننظر بعين الرضى لدعم المملكة السعودية للملكيين وبأن تكون الساحة مسرحاً لفتنتين لن تستطيعا إسعاد اليمن والخروج به من التيه والضياع.

كانت فئات كبيرة من الناس لا تقر ما يدور لأن هذا عكس ما كان مرجواً. نحن لم نناضل من أجل أن يرتكب الظلم والقهر باسم الحرية والتقدم، نحن لم نسجن

ونعذب لكي تسود الانتهازية وتعشعش طبقة أثرت ونمت في الجانبين المتصارعين على حساب دماء المحاربين الذين طمست عن أعينهم الرؤية والحقيقة. كان علينا أن نتحرك على كل الأصعدة. اتصلنا بالمصريين وشرحنا لهم خطل تصرفاتهم وإجراءاتهم وخطورة النتائج واكتشفنا التفكك والخوف والتردد في قادتهم الموجودين في اليمن فالضابط الكبير يخشى الأقل منه رتبة لأنه يتوهم أو يعتقد أن الأخير له علاقة بالاستخبارات – التي كانت تفشت في عهد عبد الناصر والتي كانت هي الأولى والأخيرة – تفشت فيهم الإتكالية والرشوة والفساد وأخذت خططهم تضرب ضرب عشواء وتثور الناس ضدهم وتعطي ردود فعل عنيفة ضدهم، ومع ذلك لم يسمعوا نصحاً ولا إرشاداً.

كانت لديهم أسلحة متفوقة ولكنهم كانوا فاسدين من الداخل وكانت تصرفاتهم أكبر عون عليهم. أوضحنا خطورة هذه الأوضاع للمسؤولين والقادة البارزين الذين أفرزتهم حركة ١٩٦٢ أوضحنا لهم أن هناك علاقة لا تخفى على ذوي البصيرة بين بقاء الملكيين قوة وبقاء الجيش المصري، فالملكيون يستغلون هذا الوجود المنفر ويستخدمونه لصالحهم والمصريون يقولون لولا وجودهم لاكتسحت القبائل أسوار العاصمة صنعاء وانتهت النظام الجمهوري.

نحن نعرف أن بقاء هذا مرتهن ببقاء ذاك، وهذا ما أثبتته الأحداث في النهاية عندما انسحب الجيش المصري من اليمن وفشل الملكيون من اجتياح صنعاء.

كان الجانب اليمني من الجمهوريين يسودهم الشك والخوف وتحكمهم العقد وكان كثير منهم محسوبين على النظام وهم ضده بتصرفاتهم وجهلهم واستكلابهم على المال والمكاسب الشخصية. في هذا الجو القاتم رفعنا شعار خطتنا بعد أن حاولنا تكتيل العناصر الشريفة المؤمنة بهذا الشعب كان شعارنا وهدفنا مستمد من واقع الحال دون مواربة ولا سياسة ولا وجل أو خداع: شعارنا كان «فليقف التدخل الخارجي بكل أشكاله»: ويختار الشعب ما يريد.

وانطلقنا نشرح للناس وللدول المعنية رأينا.

وكالعادة في هذا الزمان أخذ كل طرف وفئة ودولة تحاول الافادة من هذه الأوضاع، ولكن النتائج كانت باهرة على أية حال. فبعد أن كان الصراع ثنائياً وجد كثير من الناس مخرجاً ثالثاً وأملاً في حل وأن هذا الحل ممكن أن يكون هو العلاج الناجع.

لم يرق هذا الرأي للسلطات المصرية في اليمن وكان لا بد من الصدام معها، وخرج وفد من الشباب اليمني وأعلنوا من بيروت أوضاع اليمن وما تعانيه وطالبوا بتنفيذ مطالبهم وهي خروج الجيش المصري ووقف الدعم السعودي وحرية اليمنيين بتقرير ما يرونه صالحاً لبلدهم.

كان المرحوم عباس يرى أن هذا العمل هو الحل السريع على الأقل لإبراز الارادة الحقيقية لليمن بعيدة عن أي تضليل فالقهر لن نقبله والدجل لن يقبل أيضاً والنتائج لا بد أن تكون سليمة رغم انحراف المقدمات ولا بد لنا من العمل على

ذلك فالذين وصلوا إلى المسؤولية تاهت بهم الظنون ونسوا أو جهلوا أو تناسوا أن الشعب لا بد له من محطات يعيد التفكير بما هو حاصل ويسترشد لما هو آت.

العمل الصامت بين القبائل: إرث من الإصلاح والبناء

استقرت الأوضاع بعد خروج المصريين من اليمن واعتراف المملكة السعودية بالأوضاع الجديدة التي لم تستطع أن تقيم دولة بالمعنى المفهوم، وأخذ أخي عباس يعمل – بشكل فردي على مساعدة القبائل وإرشادها وهو المصالحات بينها لكي تحقن دمائها وتوفر أموالها لما ينفع ويفيد. نقل سكنه إليهم وعاش بينهم ودفعهم إلى أن يشقوا طرقات ويبنوا مزارع ويحفروا آباراً، دون دعم من دولة أو مؤسسة بل بجهدهم، كان نشاطه شاملاً لكل قبائل اليمن ولكن مركز إقامته كان في قبيلة «خولان» التي أحبها ومات وهو يجري صلحاً بين قبيلتين منها السهمان وبني ضبيان.

كان يرى أن قبائل اليمن هي الخير والبركة وكان يعرف أن انتهاء العادات والتقاليد القبلية الرفيعة خطراً على اليمن إلا إذا اندمجت هذه القبائل وتجانست مع مفهوم العصر وتمسكت بالإسلام.

لذلك حاول وبقدر ما استطاع أن يفهمهم ذلك وكان عمله هو البداية وليس النهاية لأعمال عظيمة لن تتوقف وسيقوم بها من آمن بربّه ومشى على هديه. رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح الجنان وعوضه عن أتعابه وآلامه فرح الخلد وراحة العودة إلى الله.

ربنا آتنا في الدنيا حسـنة وفي الآخرة حسـنة، وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار.

العباس بن علي الوزير.. "رجلٌ منّا" في خولان

الشيخ/ أحمد محسن صالح التيني

بسم الله، والحمد لله الذي جعل من عباده من يسعى في الأرض لرأب الصدع وجمع الشمل، والصلاة والسلام على من أُرسل رحمةً للعالمين، وبعد:

فإن حديث الرجال ليس كحديث الأحجار، وسيرة الأفذاذ تُروى في المجالس كما تُروى دواوين الشعر، تُثبَّت في صدور الرجال قبل أن تُسطَّر في بطون الكتب. وحديثي اليوم عن رجلٍ ليس غريباً عن هذه الديار، رجلٍ من صميم النسيج القبلي وإن لم تَلِدْه أمه في خيامنا. إنه العباس بن علي الوزير، الذي احتضنته خولان، واحتضنها، فكان بينه وبين قبائلها ميثاقُ دمٍ وتراب، وصِدقُ رؤيا، ووفاءُ رجال.

لماذا خولان؟ سرُّ الاحتماء والانتماء

كثيراً ما يسأل السائل: لماذا اختار العباس الوزير هذه الربوع بالتحديد، ربوع بني سحام والسهمان، لتكون مركِزه ومنطلقَه وموطنَ صِحّته وغربته؟ والجواب عند القوم معروف، لا يُكتَب في الأوراق بقدر ما هو محفور في صدور الرجال. لقد وجد

فينا العباس ما لم يجده في غيرنا. وجد رجالاً أبطالاً، إن قالوا صـــدقوا، وإن عاهدوا أوفوا، وإن نُوديَ للشـــدة كانوا أول الحاضـــرين. لقد احتمى بهم فكانوا له درعاً وسـيفاً، وكان لهم رأسـاً حكيماً وقلباً ناصـحاً. وكأن لسـان حاله يقول أنا لم أختر الأرض، بل اخترت الرجال، وهؤلاء الرجال هم من جعلوا التراب في عينه ذهبا.. لقد اعتبرناه واحداً منا، يُنسَب إلينا كما نُنسَب إليه، يفرح لفرحنا ويألم لألمنا، وهذا هو عين الوفاء الذي لا يُشتَرى بالمال.

رفيق الدرب في رفض الضيم

جمعته مع والدي الشيخ محسن صالح محسن النيني وجدي الشيخ أحمد محسن بن محســـن النيني عم والدي من قبله، رفقةٌ لم تكن رفقةَ مجالس وغِمار فقط، بل كانت رفقةَ مبدأ وطريق. كان العباس يرى أن هذا الجيل من خولان جيلٌ مُغيَّب عن التنمية، مهمَّش في حقه، مظلوم في وصله بالعالم. وكان والدي وجدي يريان أن رفض الظلم والجور، والدعوة لنظامٍ عادلٍ يَصون الكرامة، هي أساس العمران. التقوا جميعا على هذا المسار، مسارٍ واحد لا يتفرع، ننشد العدل ونرفض الضيم، ونسعى أن تكون خولان حاضرةً في صدر المشهد لا في ذيله. كان العباس في هذا النضال عبداً لله، لا يبتغي جاهاً ولا سلطة، بل كان مشروعه مشروعَ إنسانٍ يريد أن يزرع الخير في أرضٍ صَلُبتْ عليها القلوب قبل أن تقسو عليها الأحجار.

شق الطرقات بالإرادات قبل العدد

والحديث عن التنمية في خولان في ذلك الزمان كان أشبه بحديث الأساطير، فالطرق وعرة غائرة، والقرى نائية، لا يكاد يصل الحي إلى الحي إلا بعد جهد جهيد، وهذا التباعد كان يورث في الصدور ضغائن، ويُبقي الثارات نائمة على جمرها. رأى العباس أن أول أساسيات التطوير هي أن يتصل الناس ببعضهم. أراد أن يُقارب الأبعاد، لعله يُصافي القلوب.

لكن أين المعدات؟ وأين آلات شق الجبال؟ لم تكن معنا. كانت أدواتنا هي سواعد الرجال وعزائم الأحرار. لقد خرجنا، رجال خولان، نحفر الأرض بأيدينا، نقطع الحجر بالفأس، ونردم الوهدات بالظهور. لم يوقفنا فقر العتاد عن شق الطريق، بل كان العباس في المقدمة، يرفع الحجر معنا، ويحمل التراب على ظهره، حتى قال فيه شاعرنا: "يا حافر الدرب بالإصرار والهممِ.. خلَّدت دربك في الأحشاء والقمم". وهكذا كانت آبار الشرب، حُفرت باليد، نبشنا في باطن الأرض لنستخرج الماء العذب، فكان ماء تلك الآبار يروي الزرع ويروي معه أمل الناس في غدٍ أفضل.

مدارس من حصير وسعف.. لتحفيظ القرآن

ولم ينسَ العباس أن العقل بلا علمٍ خراب. فشمر عن ساعديه وعمل على بناء فصول دراسية من الطين والحجارة، وسقفها من سعف النخيل، في القبائل الأربع. كان همه الأول أن يسمع القرآن يُتلى من أفواه الصغار، وأن تقوم الحلقات

الشـــرعية في المســـاجد تعلِّم الناس أمور دينهم. لان مان يعتبر ان الجهل هو الثأر الحقيقي الذي يفتك بنا، فبالعلم نُنهي الثارات، لا بالســـلاح وحده". جعل من المساجد مدارس، ومن الكتاتيب قلاعاً لمواجهة الجهل الذي خيّم لعقود.

وساطات أوقفها القدر.. قصة الثأر في "قراض"

ولعل أعظم ما شغل باله وأقلق مضجعه هو ذاك الثأر العالق بين بني ضبيان والســـهمان، والذي كان وقوده خلافات الحدود في منطقة قراض. رأى في هذا النزيف جرحاً غائراً في جسد خولان، لا بد أن يلتئم. قضى قرابة العشرين سنة وهو يمشـــي بين القبيلتين، محاولاً أن يُقرِّب وجهات النظر. كان كل وقته مفتوحاً للمتنازعين، ومجلسه في اي مكان في العراء. بين الجبال ساحة قضاء. اتفقت القبائل عليه، رضيت بجاهه وحكمته، وأوشكت الغمة أن تنقشع، وأوشك الدم أن يتوقف، وأعلن الجميع الرضا بوساطته.

لكن أقدار الله، التي لا راد لها، أخذت أمانتها قبل أن يُرى هذا الحلم يُشرق. سبق الأجل العباس قبل أن يُوقّع وثيقة الصلح النهائي، فارتفعت روحه إلى بارئها وهي معلقة بحب الخير، لتظل تلك القضـــية جرحاً مفتوحاً لم يلتئم حتى يوم الناس هذا. وكأن في ذهابه ذهاباً لروح الصلح.

الفراغ الذي لا يملؤه أحد

رحل العباس بن علي الوزير، فإذا بخولان كلها تترنح كالنخلة التي قُطع ساقها. كان أثره كبيراً، وفراغه كان أكبر. لقد فقدت خولان ليس رجلاً صالحاً فحسب،

بل مشروعَ أمةٍ كان ينهض على كتفيه. وإننا، ونحن نروي سيرته، لنعزي أنفسنا قبل أن نعزي غيرنا. عاش فينا، ومات منا، وسيظل ذكره في خولان مقروناً بكل طريق شُق، وكل بئر فاض ماؤها، وكل طفل حفظ القرآن. رحم الله العباس بن علي الوزير، وجزاه عن قبائل خولان خير ما جزى الداعين للخير، العاملين به.

دَمْعةُ حُزْنٍ عَلى فَقيدِ اليَمَن

المُجاهد الكبير عباس بن علي الوزير

الأستاذ/ ناصر الحرورة

ودعت العاصمة صنعاء يوم الخميس الموافق ١٣صفر١٤٠٠هـ-٣يناير١٩٨٠م، علماً من أعلام اليمن وقطباً من أقطابها في تاريخها الحديث، ذلكم هو العباس بن علي الوزير – رحمه الله – المجاهد في سبيل الله، العامل في ميدان الخير، متجرداً من كل شيء دنيوي إلا ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى..

ان الصخور الصماء.. والشعاب القاحلة، والجبال الشماء – في خولان الطيال – التي قضى عليها وفيها فقيدنا الغالي بقية حياته الحافلة بالنضال، لتسيل دموعها حزناً عليه.

لقد أهلك فقيدنا الغالي (٣٣ عاماً) من عمره البالغ (٥٢ عاماً) في الجهاد والنضال والكفاح في سبيل اعلاء كلمة الله.. ووقف وقوف الأبطال ضد الانحراف الخطير الذي شوه معالم الحكم الاسلامي في اليمن.. حيث شارك في مقتبل شبابه

في قيام الحركة الاســـلامية التي قامت بزعامة الصـــفوة من علماء اليمن وقادتها ومشايخها الأحرار، وذلك في الثورة المعروفة في تاريخ اليمن الحديث بثورة «الدستور» أو «الشورى» في عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م

وبعد فشل هذه الثورة لظروف سياسية واجتماعية وتعليمية، كان فقيدنا أحد الســـجناء الذين زج بهم في غياهب الســـجن الرهيب الذي قتل فيه فكر اليمن الحديث...

وقد حظي فقيدنا - عليه الرحمة والرضوان - من بين أخوته جميعاً، بالكلمات الأخيرة التي تلقاها من أبيه الأمير علي بن عبد الله الوزير - رضوان الله عليه - وهو في طريقه إلى ساحة الاستشهاد والفداء، حيث قال له - مخاطباً أخوته في شخصية فقيدنا - كونوا رجالا-.

كانت هذه هي المرحلة الأولى من نضـــال الفقيد الغالي، ثم توالت بعد ذلك مراحل حافلة بالجهاد والكفاح، كان فقيدنا فيها نبراســاً يســير على ضــوئه زملاء الجهاد والعقيدة...

وإلى جانب اهتمام فقيدنا بقضية أمته وبلاده في اليمن، فلقد كانت القضايا الاسلامية في الوطن الاسلامي الكبير تستولي على معظم همومه وتفكيره حيث كان يدرك الأخطار والكوارث التي تحدق بالعالم الاسلامي، من غزو مباشر وغير مباشر وأفكار هدامة.. ومن أهم القضايا الاسلامية التي كانت تؤرقه هي قضية فلسطين المسلمة التي كان يعتبرها - رحمه الله - المنطلق الصحيح للجهاد الاسلامي...

ولقد كان الفقيد الغالي أحد الشخصيات الاسلامية الكبيرة التي تعي هذه القضايا وتدرك مخاطرها على مستقبل الاسلام...

ان الحديث عن جهاد ونضال فقيدنا الغالي لا تستوعبه هذه الأسطر السريعة فذلك يحتاج إلى كتابة وافية وشاملة لجميع مراحل نضاله التي مر بها.

وانما هذه كلمات عابرة مستوحاة من جو الحزن وسماء الكآبة التي تخيم على كل من عرف فقيدنا شخصياً، أو سمع عنه أو رأى أعماله الخيرة على الميدان.. وان زملاء فقيدنا الذين عايشوه وعاصروه في مراحل جهاده لمدعوون اليوم إلى الكتابة عنه حتى يعرف العالم الاسلامي عن جهاده الذي آثر أن يكون بعيداً عن الأضواء والضجة السياسية التي يتسابق اليها محبو الظهور، دون أن يكون لهم رصيد يذكر في مجال العمل الخير، بل يعملون من أجل مصالحهم ومكاسبهم الشخصية على حساب المستضعفين ولا تهمهم قضايا أمتهم وبلادهم ودينهم.. وليكون في ذلك عبرة لمن اعتبر وسنة لمن يريد أن يخدم أمته وبلاده.

وإننا لنرفع أكفنا ضارعين إلى الله أن يرحم الفقيد، وان يجبر المصاب وأن يعوض الجميع بفقيدنا الغالي في خلفائه من أخوته في العقيدة والجهاد...

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾... « إنا لله وإنا إليه راجعون »..

العباس بن علي الوزير..

حين يتحول الألم إلى مشروع وطن

*فيصل بن أمين أبو راس

العظماء لا تصـــنعهم الظروف المواتية، بل تصـــنعهم المحن حين يواجهونها بالإيمان والإرادة. وفي تاريخ اليمن رجال خرجوا من قلب المعاناة ليصبحوا جزءًا من ذاكرة الوطن ووجدانه.

فالأوطان ليست مجرد حدود وجغرافيا، بل ذاكرة حية من التضحيات، وسيرة رجال ونســاء وهبوا أعمارهم ليبقى الوطن صــامدًا في وجه التحديات والعواصــف. وفي تاريخ اليمن الحديث تبرز شــخصــيات لم تكن مجرد أسماء عابرة، بل تحولت إلى رموز وطنية حملت همَّ الإنســان اليمني، وآمنت بأن الحرية والكرامة والعدالة ليســت شعارات تُردد، وإنما قيم تُصان ومسؤوليات تستحق التضحية والفداء.

ومن بين تلك القامات الوطنية يبرز العباس بن علي الوزير؛ الرجل الذي خرج من قلب المأســاة ليصــنع من ألمه مشــروع وطن، ومن معاناته رســالة أمل للأجيال،

مفادها أن الأوطان لا تنهض إلا بالعدل، والمواطنة المتساوية، ووحدة المجتمع، والإيمان الراسخ بكرامة الإنسان وحقه في الحياة الحرة الكريمة.

لم يكن العباس نتاج ظرف عابر أو تجربة عادية، بل كان ثمرة بيئة وطنية عريقة تشبعت بروح النضال والمسؤولية. فقد نشأ في كنف أسرتين كان لهما حضور بارز في الثورة الدستورية عام ١٩٤٨، وأسهمتا في مسيرة الكفاح الوطني حتى قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢.

وفي تلك البيئة الوطنية تربى على أن الحرية لا تُمنح، بل تُنتزع بالصبر والإرادة والتضحيات، وأن خدمة الوطن شرف لا يوازيه شرف.

ومنذ سنواته المبكرة أدرك أن الانتماء الحقيقي للوطن لا يقاس بما يُقال من شعارات، بل بما يُقدَّم من مواقف وتضحيات. ولذلك ظل حاضرًا في ميادين العمل الوطني، قريبًا من الناس، مؤمنًا بأن بناء الدولة العادلة هو الطريق الأقصر إلى حفظ كرامة المواطن وتحقيق الأمن والاستقرار والتنمية.

إن سيرة العباس بن علي الوزير ليست مجرد قصة رجل واجه المحن، بل هي قصة إرادة انتصرت على المعاناة، وقصة وطن تجسدت آماله في رجال آمنوا به أكثر مما آمنوا بمصالحهم الشخصية. ولهذا تبقى تجربته رسالة متجددة للأجيال بأن الأمم لا يبنيها الباحثون عن المكاسب الآنية، وإنما يصنعها أولئك الذين يحولون جراحهم إلى قوة، وآلامهم إلى عطاء، وإيمانهم بالوطن إلى عمل لا ينقطع.

وكان لوالدته فاطمة بنت أبوراس أثرٌ بالغ العمق في تشكيل وجدانه وصياغة شخصيته. تلك المرأة اليمنية العظيمة التي غرست فيه منذ طفولته قيم الصبر والشجاعة والوفاء للوطن، وربّته على أن الإنسان يُقاس بمواقفه وأخلاقه وعطائه، لا بنسبه أو مكانته.

كما كان لجده وأخواله من آل أبوراس، وفي مقدمتهم قاسم وأمين، دورٌ بارز في تكوين وعيه الوطني؛ فنهل من تلك المدرسة الوطنية الأصيلة ومن البيئة القبلية اليمنية النبيلة قيم الكرامة، ونصرة المظلوم، والانحياز للناس، والإيمان بأن اليمن وطنٌ يتسع لجميع أبنائه دون تمييز أو عصبية.

وُلد العباس في قرية الأخطور، عام ١٩٢٩، حيث كان يقيم أخواله من آل أبوراس، وترعرع في محيطهم قريبًا من الناس، ملتصقًا بقضاياهم وهمومهم، يحمل في روحه مزيجًا من الأصالة القبلية والعراقة الاجتماعية والنبل الإنساني. ولذلك لم يكن غريبًا أن يتحول إلى واحدٍ من أبرز الأصوات الرافضة للعصبيات والسلاليات التي مزّقت النسيج الاجتماعي اليمني عبر مراحل مختلفة من تاريخه.

لقد آمن العباس بأن التحدي الأكبر الذي يواجه اليمن ليس الفقر أو الجهل أو الحرمان بقدر ما هو الانقسام الذي يحوّل أبناء الوطن الواحد إلى طبقات وفئات متمايزة.

ولهذا وقف في مواجهة فكرة الحق الإلهي في الحكم، ورفض كل مشروع يقوم على التمييز بين الناس أو احتكار السلطة باسم الاصطفاء والسلالة. وكان يؤمن

بأن الدولة العادلة لا تقوم إلا على أساس المواطنة المتساوية، وأن كرامة الإنسان وحريته يجب أن تكونا فوق كل الانتماءات الضيقة.

ولم تكن تلك المواقف مجرد شعارات سياسية، بل قناعات دفع العباس ثمنها باهظًا. فقد عاش فصول المأساة بكل قسوتها، ورأى جده، ووالده، وأعمامه، وأخواله يسقطون ضحايا لبطش الإمامة، وشهد السجون والملاحقات ومصادرة الممتلكات، وعرف منذ وقت مبكر معنى الفقد واليُتم وغياب الأمن والاستقرار.

لكنه، رغم ذلك كله، لم يسمح للألم أن يحوله إلى إنسان ناقم، بل حوّل معاناته إلى دافعٍ للمساهمة في بناء دولة تحمي الإنسان وتصون كرامته.

وأدرك العباس، ومعه أخواله ورفاقه من الأحرار، أن معركة الوطن هي في جوهرها معركة وعي وهوية ومستقبل. وكان يؤمن بأن الثورات الحقيقية لا تتحول إلى انتقام، وإنما إلى مشروع لبناء دولة القانون والعدالة. ولهذا ظل وفيًا لفكرة الوطن الجامع، رافضًا استهداف الناس على أساس انتماءاتهم أو أسرهم أو طبقات اجتماعية مصطنعة.

وقد تجلت هذه الروح الوطنية في إدراكه المبكر أن معركتهم كانت ضد الظلم والاستبداد، لا ضد فئة اجتماعية بعينها؛ وأن الثورة قامت لمواجهة نظامٍ جائر، لا لمخاصمة شريحة من المجتمع؛ وأن العدالة لا تتجزأ، وأن الوطن لا يُبنى بالإقصاء.

وقد ترك هذا الوعي أثره العميق في شخصيته، فتجاوز حدود التصنيفات الضيقة، وانحاز إلى اليمن الكبير الذي يتسع للجميع. ولهذا أحبّه الناس والتفوا حوله، لأنهم رأوا فيه قائدًا ومفكرًا قريبًا منهم، لا أسيرًا لهوية مغلقة أو امتيازٍ سلالي.

ومن أكثر ما ميّز العباس أنه لم يكن سياسيًا يعيش خلف المكاتب أو في مناطق آمنة بعيدًا عن الناس، بل رجلًا عاش بينهم وفي قلب معاناتهم. فعلى الرغم مما كان يعانيه من أمراض مزمنة، كالسكري وارتفاع ضغط الدم وضيق التنفس، وكان بمقدوره ـ كما نصحه الأطباء ـ أن يبقى خارج الوطن حيث العلاج والاستقرار، فإنه اختار طريقًا آخر؛ طريق الواجب والانتماء.

عاد العباس الانسان إلى القرى البعيدة والمناطق النائية، حيث شحّ المياه ووعورة الطرق وغياب الخدمات، وشارك الناس همومهم وحياتهم اليومية، وحل قضاياهم وساهم في حفر الآبار وشق الطرق والتخفيف من معاناة البسطاء بجهده وعمله قبل كلماته.

لم يكن العباس يبحث عن سلطة أو نفوذ أو شهرة، وهو القادر على بلوغ أعلى المواقع السياسية والدبلوماسية التي عُرضت عليه. فقد كان يرى أن الثورة الحقيقية هي خدمة المواطن، وأن الجمهورية لا تُحمى بالخطب وحدها، بل ببناء مجتمع متماسك تسوده الأخلاق والعدالة والتعاون.

كما كان يؤمن بالدور الوطني للقبيلة، ويرى أنها، رغم ما لحق بها من تشويه، قادرة على أن تكون عامل حماية للمجتمع حين تغيب الدولة، إذا تمسكت بقيم

النجدة والكرامة ونصرة المظلوم. ولهذا سعى إلى ترسيخ وعيٍ قبلي وطني يحافظ على الأعراف الأصيلة، ويقود المجتمع نحو دولة المؤسسات والقانون.

لقد اجتمعت في العباس صفات القيادة الحقيقية: التواضع، والشجاعة، والحكمة، والإحساس العميق بالمسؤولية. وكان قريبًا من الناس إلى درجة جعلتهم يرون فيه واحدًا منهم، يحمل آلامهم ويشاركهم همومهم، لا زعيمًا متعاليًا عليهم.

وحين نستحضر اليوم أسماءً مثل العباس بن علي الوزير، ورجالات آل أبوراس وآل الوزير وغيرهم من الوطنيين اليمنيين، فإننا لا نستحضر أفرادًا فحسب، بل نستحضر جيلًا كاملًا من الرجال والنساء الذين أسهموا في صناعة الوعي الوطني، وربّوا أبناءهم على أن التضحية من أجل الوطن شرف، وأن الحرية لا تُنال إلا بالصبر والعمل والإيمان بالقضية العادلة.

كما نستحضر دور المرأة اليمنية العظيمة التي كانت وراء صناعة تلك الشخصيات، وفي مقدمتها ام العباس فاطمة بنت أبوراس؛ المرأة التي غرست في أبنائها وإخوتها قيم الصبر والشجاعة والكرامة.

فالأوطان لا يصنعها الرجال وحدهم، بل تصنعها معهم الأمهات والزوجات والأخوات اللواتي يربين الأجيال على حب الوطن والإيمان بالحق والإخلاص للمبدأ.

إن الحديث عن العباس بن علي الوزير ليس مجرد استدعاء لشخصية من الماضي، بل استحضار لمنظومة من القيم التي يحتاجها المجتمع اليوم أكثر من أي وقت مضى؛ قيم التسامح والعدل والشجاعة والتضحية والإيمان بوطنٍ لجميع أبنائه

دون تمييز.. فالأمم لا تنهض بالعصـــبيات، ولا تُبنى بالكراهية، وإنما تنهض برجال ونساء يؤمنون بأن الإنسان هو أساس الدولة، وأن الوطن أكبر من كل الانقسامات.

وربما كان أعظم درس يمكن أن تتعلمه الأجيال من ســـيرة العباس هو أن الانتماء الحقيقي ليس للدم أو الســـلالة، بل للمبدأ والعدالة والوطن. وأن القائد العظيم ليس من يملك الســـلطة، بل من يملك الشـــجاعة للوقوف إلى جانب الحق مهما كانت التضحيات.

هكذا يخلد الرجال في ذاكرة أوطانهم؛ لا بما امتلكوه من ســـلطة أو نفوذ، بل بما تركوه من أثر، وما زرعوه من قيم، وما قدموه من تضحيات في سبيل وطنٍ يتسع للجميع.

رحم الله العباس بن علي الوزير، ورحم كل الرجال والنســـاء الذين حملوا اليمن في قلوبهم، وآمنوا بأن الوطن لا يُبنى بالكراهية والعصـــبيات، بل بالعدل والكرامة والإيمان بالإنســـان؛ ليبقى للأجيال القادمة وطنٌ يتســـع للجميع، تحكمه العدالة، وتصونه الكرامة، وتظل رايته مرفوعة باسم الإنسان والوطن

---

* الكاتب هو ابن خال العباس بن علي الوزير. وكانت والدة العباس قد أوصـــت ابنها قبل رحيلها أن يرعى ابن أخيها، فحمل الوصـية وأدّاها بأمانة. ولم يكن العباس ليترك ابن خاله في كنف غيره، فكان يجعله يرافقه في السفر والإقامة، داخل اليمن وخارجها، ويغمره بعناية الوالد ووفاء الابن البار لوصية أمهِ

العباس بن علي الوزير..

أيقونة النضال السياسي والإنساني في اليمن

د. عارف العامري

في تاريخ الشعوب شخصيات لا تقاس عظمتها بحجم السلطة التي قبضت عليها، ولا بالثراء الذي اكتنزته، بل بحجم الأثر الذي تركته في ضمير الأمة، وبقدر التضحيات التي قدمتها في سبيل مبادئها. العباس بن علي الوزير هو إحدى هذه الشخصيات الاستثنائية في التاريخ اليمني المعاصر؛ فهو ليس مجرد سياسي أو مفكر عابر، بل هو "مدرسة متكاملة" في النضال من أجل الحرية، وفي العيش من أجل الناس، وفي العمل من أجل الوطن.

في زمن تتنازع فيه النفوس مغريات السلطة وبريق الحياة الفارهة، اختار العباس الوزير أن يكون صوته صدى لآلام البسطاء، وأن تكون يداه معول بناء لا أداة هدم. عاش بين الناس، يأكل مما يأكلون، ويلبس مما يلبسون، ويحمل في قلبه همومهم وآمالهم. وعندما هبت رياح الفتنة مهددة بإغراق اليمن في بحر من الدماء، كان هو السفير الإنساني الذي سعى جاهدًا لترميم الجراح قبل أن تتفاقم، ولبناء

جسور السلام فوق هوة الاحتراب، حاملًا رسالة فحواها أن اليمن يتسع للجميع. إن تفكيك أبعاد هذه الشخصية الفذة، وتحليل دوافعها وأفعالها، يصل بنا إلى فهم أعمق لدور الفرد في صناعة التاريخ، حين يكون ذلك الفرد متسلحًا بإرادة صلبة، وقلب مفعم بالإنسانية، وعقل يستشرف مستقبلًا يسوده السلام.

نشأة فكر نضالي وإنساني

لفهم الخيارات الجذرية التي اتخذها العباس بن علي الوزير، لا بد من العودة إلى البيئة التي تشكّل فيها وعيه. ينتمي إلى أسرة "آل الوزير" العريقة في الفكر والعلم والسياسة في اليمن، وهي أسرة لم تكن تقليدية في إنتاج رجال الدين والسياسة، بل أنتجت على الدوام رموزًا إصلاحية وتجديدية، كان لها تاريخ طويل في مقارعة الاستبداد، ومناهضة الحكم الإمامي الفردي. هذه الخلفية الأسرية لم تمنحه امتيازًا طبقيًا بقدر ما غرست فيه إرثًا ثقيلًا من المسؤولية، وعمقًا فكريًا جعله ينظر إلى السياسة كخدمة عامة، لا كمُلك خاص.

نشأ العباس على مزيج من العلم الديني المستنير والفكر السياسي الحر، مما أكسبه رؤية ثاقبة لطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم. لقد فهم مبكرًا أن تحرير الأرض مرتبط بتحرير الإنسان، وأن أي مشروع نهضوي لا يبدأ من القاعدة الشعبية، من الفلاحين والعمال والمهمشين، هو مشروع أعرج. هذا الفهم المبكر هو الذي سيشكل بوصلته لاحقًا، حين يقرر أن يكون مع الناس في الأرض، لا في القصور فوقها.

البعد السياسي النضالي.. مبادئ الحرية ورفض الاستبداد

دخل العباس الوزير معترك السياسة من بابها الواسع: باب المبدأ. لم يسعَ يومًا إلى السلطة لذاتها، بل سعى إليها ليجعل منها وسيلة لتحقيق العدالة والحرية. في مرحلة تاريخية من حياة اليمن، كان الصوت المعارض يُخنق، وكان قول كلمة الحق يكلّف صاحبها حريته، بل وحياته أحيانًا. في هذه الأجواء، برز العباس كأحد أبرز رموز المعارضة السياسية، لكنها معارضة من نوع خاص: معارضة مسلّحة بالفكر لا بالرصاص، ومؤمنة بالتغيير السلمي لا بالانقلابات الدموية.

كان نضاله السياسي يقوم على أسس واضحة:

١. رفض الحكم الفردي والاستبداد: آمن بأن اليمن لا يمكن أن تنهض بنظام يحكمها فرد واحد، مهما كانت عبقريته، وطالب بدولة المؤسسات والقانون.

٢. الإيمان بالعمل السلمي: في زمن كان فيه العنف هو اللغة السائدة للتغيير، كان العباس من أوائل من رفعوا شعار المقاومة المدنية والسلمية، مؤمنًا بأن الدم اليمني أغلى من أن يُراق في صراعات لا منتصر فيها سوى الخراب.

٣. الاستقلال الوطني: كان غيورًا على استقلال اليمن وقراره الوطني، رافضًا أي شكل من أشكال الوصاية الخارجية، مما جعل خطابه السياسي متسقًا مع تطلعات الشعب في الكرامة والسيادة.

هذا النضال السياسي كلفه الكثير، من تضييق وملاحقة وغربة، لكنه لم ينحنِ، ولم يساوم على مبادئه. كانت السياسة عنده أخلاقًا قبل أن تكون فنًا للممكن، وكان يردد دومًا أن "الحرية لا تُمنح، بل تُنتزع"، لكنه كان يضيف دائمًا عبارته الفارقة: "وتُنتزع بإرادة الشعوب لا بدمائهم."

البعد الإنساني.. فيلسوف البساطة والتواضع

لعل أكثر ما يثير الدهشة والإعجاب في شخصية العباس بن علي الوزير هو ذلك التناقض الظاهري بين مكانته كزعيم سياسي ورمز فكري كبير، وبين نمط حياته الذي اختاره. في الوقت الذي كان بمقدوره، بحكم مكانته الأسرية والعلمية، أن يعيش حياة "فارهة" تليق بـ"الوزير"، إلا أنه اختار بملء إرادته أن يعيش حياة "الناس العاديين"، بل حياة الكادحين في الأرض.

١. فلسفة "العيش مع الناس:"

لم يكن تواضع العباس مجرد "قناع" سياسي لكسب الود الشعبي، بل كان فلسفة حياة متكاملة. كان يؤمن بأن على المثقف والسياسي أن يعيش هموم الناس لا أن يتحدث عنها فقط من بعيد. كان يأكل مما يأكلون، ويلبس بذات البساطة، ويتنقل بينهم دون حواجز أو مراسم. هذه المعايشة اليومية جعلته يفهم آلامهم فهمًا حقيقيًا، وليس نظريًا، فكانت مواقفه السياسية تنبثق من صميم احتياجاتهم.

٢. العمل باليد.. سياسي يبني:

من أبلغ صـــور ارتباطه بالأرض والناس هو أنه لم يكتفِ بالعمل الفكري والسـياسـي، بل كان رجلًا عمليًا، يشـتغل بيديه. تروى عنه قصـص مشـاركته في العمل اليدوي، في الزراعة أو البناء، ليس على سـبيل الهواية، بل على سـبيل المبدأ. إنها رسـالة بليغة أن من يسـعى لبناء وطن، عليه أن يبدأ ببناء حجر، وأن يعرف قيمة العرق والجهد. هذا التواضـع العملي جعله في عيون الناس "رمزًا" ليس للقائد، بل للأخ الأكبر الحكيم، والعامل المخلص.

٣. حمل هم الوطن كهم شخصي:

لم يكن همه شـخصـيًا أو حزبيًا ضـيقًا، بل كان "همه" هو الوطن برمته. كان يحمل الخوف على اليمن، ليس خوف الضـعيف، بل خوف العارف بمخاطر الطريق. كان يرى أن الثروة الحقيقية لليمن ليست في النفط أو الغاز، بل في تماسك نسـيجه الاجتماعي، وكان يحذر من أي شـرخ فيه، لأن إصـلاح ما تفسـده الفتن أسـهل بكثير من إصـلاح نسـيج اجتماعي ممزق. كان همه أن يرى اليمن موحدًا، حرًا، سعيدًا، وهذا الهم كان وقود حياته.

البعد الإصلاحي.. سفير الإنسانية وباني السلام

إذا كان النضال السياسي والتواضع الإنساني هما قطبا شخصية العباس الوزير، فإن دوره الإصلاحي والوساطة هما التتويج العملي لتلك الشخصية. في واحدة من أحلك الفترات التي مرت على اليمن، حين اشتعلت فتنة دموية، هددت ليس فقط بتدمير الدولة، بل بتدمير النسيج الواحد للمجتمع اليمني، وتفتيته إلى طوائف ومذاهب متناحرة، برز دور العباس كـ "سفير إنساني" بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

١. الخروج من الفتنة الدموية:

كانت الصراعات بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م تمثل في نظره تهديدًا وجوديًا. لم يقف منها موقف المتفرج، أو موقف الباحث عن مكسب سياسي، بل تحرك بدافع إنساني وأخلاقي صرف، وهو حقن الدماء. لقد رأى أن الدم اليمني الذي يُراق من الجانبين هو دم واحد، وأن كل رصاصة تخترق جسد يمني، إنما تمزق جسد الوطن كله. تحرك دبلوماسيًا وشعبيًا، لا ليطلب منصبًا أو دورًا، بل ليكون جسرًا للحوار، ولإخراج الجميع من دوامة العنف إلى فضاء التفاهم.

٢. مبادئ السفارة الإنسانية:

لم يكن وسيطًا بالمعنى السياسي التقليدي للوساطة التي تقوم على المساومات وصفقات النفوذ. كانت وساطته قائمة على مبادئ:

- حرمة الدم اليمني: وهو المبدأ الأعلى الذي لم يقبل المساومة عليه.
- وحدة النسيج الوطني: رفض أي خطاب طائفي أو مناطقي، وأصر على أن اليمن لا يمكن أن يكون سعيدًا إلا بكل أبنائه.
- المصالحة الشاملة: لم يطالب بحلول جزئية، بل كان يرى أن الفرصة سانحة لبناء عقد اجتماعي جديد، قائم على العدالة والمواطنة المتساوية.

٣. العودة ليبني بيديه.. إصلاح ما أفسدته الحرب:

وبعد أن نجحت تلك المساعي، ولو نسبيًا، في وقف نزيف الدم، لم يتقاعد العباس أو يكتفِ بدوره كحكيم. لقد قام بدور أندر وأعظم، وهو دور "البناء". عاد ليبني بيديه — حرفيًا — ما دمرته الحرب. ليس فقط البناء السياسي والدستوري، بل الإصلاح الاجتماعي الفعلي.

- شارك في إعادة إعمار ما هدمته الصواريخ، مؤمنًا بأن بناء البيوت هو الخطوة الأولى لبناء النفوس.
- عمل على "لملمة" الجراح الاجتماعية، بإطلاق مبادرات مصالحة محلية، وإعادة النازحين، ورأب الصدع بين القبائل والأسر التي فرقتها الحرب.

- ركز على "بث الصـــلح" كثقافة، لا كحالة طارئة. كان ينادي بأن المصـالحة ليسـت مجرد توقيع على وثيقة، بل هي عملية مسـتمرة من التسامح والتعايش وبناء الثقة.

هنا تكتمل الصورة: النضـال السياسـي كان من أجل الحرية، والعيش البسـيط كان تجسيدًا للكرامة، أما السعي للإصلاح وبناء السلام فكان تتويجًا للمسيرة. لقد أثبت أن السياسي الحقيقي هو من يبني أكثر مما يهدم، ويجمع أكثر مما يفرق.

إرث العباس بن علي الوزير

إن دراسة شخصية العباس بن علي الوزير ليست مجرد تأريخ للماضي، بل هي اسـتشـراف للمسـتقبل، واسـتخلاص للدروس التي يحتاجها اليمن والعالم العربي اليوم أكثر من أي وقت مضـى. ففي زمن تحولت فيه السـياسـة إلى تجارة، والنخب إلى طوائف منعزلة، والفتن إلى وقود للصراعات، يقف إرثه شامخًا ليقدم الدروس التالية:

١. السـياسـة كخدمة لا كوجاهة: أثبت أن القائد يمكن أن يكون خادمًا للشـعب، قريبًا منهم، بسـيطًا في عيشـه، وأن الفخامة الحقيقية هي فخامة الموقف والمبدأ، لا فخامة القصور والمراكب.

٢. نموذج "السفير الإنساني": قدم نموذجًا للوسيط الذي لا يبحث عن حصة في الكعكة، بل يسـعى لإنقاذ المخبز من الاحتراق. إنه نموذج يحتاجه اليمن بشـدة اليوم، حيث الوساطات التي تقوم بها شخصيات قبلية ودينية أحيانًا تكون مشبوهة بالبحث عن مكاسب ضيقة.

٣. العمل اليدوي وكرامة الفرد: في عصر العولمة والاستهلاك، ذكرنا بأن العودة إلى الأرض، والعمل اليدوي، ليس تخلفًا، بل هو احترام لكرامة الإنسان المنتج، وفرار من حياة الاستهلاك الفارغة.

٤. أولوية بناء السلام: لقد رأى أن السلام ليس مجرد غياب الحرب، بل هو بناء مستمر للثقة والعمران والعدالة. وهذا يتطلب "سفراء إنسانيين" لا يتوقفون عند إطفاء الحريق، بل يستمرون في إعادة بناء ما أتلفته النيران.

٥. وحدة اليمن فوق كل اعتبار: كان همه الدائم هو اليمن الواحد، النسيج الواحد، وكانت كل تحركاته تصب في هذا الهدف الأسمى، مما يجعله رمزًا وطنيًا جامعًا في زمن الانقسام.

إننا نقف أمام إرث لا يقاس بعدد الكتب التي ألفها، أو المناصب التي شغلها، بل بعدد القلوب التي لامسها، وعدد البيوت التي بناها، وعدد الدماء التي ساهم في حقنها. لقد كان بحق شخصية استثنائية، جمعت بين صلابة المناضل، وحكمة الفيلسوف، وتواضع الزاهد، وشجاعة المصلح.

لقد اختار أن يكون مع الناس في الأرض، حين كان بوسعه أن يعتلي الحياة الفارهة. اختار أن يكون جزءًا من حل مشكلات الوطن، لا جزءًا من مشكلاته. وعندما عصفت باليمن رياح الفتنة، كان هو المرساة التي تمنع السفينة من الغرق الكامل، فسعى حاملًا غصن الزيتون تارة، والمعول تارة أخرى، يبني ما هدمه الجهل والكراهية.

في النهاية، إن قصة العباس بن علي الوزير هي أكثر من مجرد سيرة ذاتية لرجل عظيم؛ إنها "وصفة" أخلاقية وعملية للخروج من النفق المظلم الذي يعيش فيه اليمن اليوم. إنها تذكرنا بأن الخلاص لا يأتي من الخارج، بل من الداخل، من أناس آمنوا بأن السلام يبدأ بفكرة، ويتجسد بعمل، ويكتمل بحياة بسيطة نقية مع الناس ومن أجلهم. وكأن لسان حاله يردد للجميع: "إن أردتم أن تحيوا اليمن، فلا تنظروا إلى قمم الجبال، بل انحدروا إلى سهولها وأوديتها، حيث الناس، وحيث الحياة".

المقاوم السجين

المفكر الاستاذ/ زيد بن علي الوزير

إلى الصديق الكريم الذي سألني: وماذا "عن عباس بن علي الوزير"؟

فهذا هو العباس

(1)

في كتابات سابقة إشارة عن أخي "عباس" مقتضبة، قضى به السياق عند الحديث عن المؤثرات الثورية على قيادة المقاومة التي أنشأت عقب سقوط الثورة الدستورية مباشرة وبدون فاصل زمني. ولأنني اكتب تاريخ هذه المقاومة فأنا أحافظ على التسلسل وعلى ظهور الأدوار تباعا، في مرحلة نضالية امتدت ٦٩ عاما بما فيها من نضال شاق وسجن ونفي وتشريد، وفشل ونجاح، وخطأ وصواب، ولأن الأمر كذلك فلابد من مراعاة الكتابة – بدون استباق – عن دور كل إنسان أسهم فيها عندما يظهر دوره، ومدى إسهامه في نشوء تلك المقاومة وفي تطويرها إلى أن صارت رقما نخبويا وشعبيا –برغم كل العثرات والتعثير– لها وجود متميز.

وبينما كان أخي ‘‘إبراهيم’’ ورفاقه يؤسسون المقاومة كان أخي ‘‘عباس’’ في هذه الفترة في غياهب ‘‘سجن القاهرة’’ بـــ ‘‘حجة’’ مع والده، ومع بقية إخوانه ورفاقه {منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}، وعندما وصل ‘‘علي بن علي الجرادي’’ – رسول المهمات- تم الاتصال على نحو متقطع بين ‘‘السجن’’ والهجرة’’ أي بين أبي وأخي ‘‘عباس’’ وابن عمي ‘‘أحمد بن محمد الوزير’’ وبين أخي ‘‘إبراهيم’’ وأعضاء ‘‘المقاومة’’ كما سيأتي.

(2)

كان أجمل نغم يستحليه أخي ‘‘عباس’’ هذه الكلمة العذبة كلمة ‘‘مواطن’’، طالما رددها في فمه، وكأنه يمضغ شهدا سائلا، وعسلا مذابا، وطالما تغنى بها وكأنه يسكب في شبابه أغنية راع، وهو ينحدر صوب القرية على ضوء غارب من شفق الأصيل، أو كأنه حنين ناي يتأوه في حضن الليل.

كانت أفضل كلمة يتمناها أن تطلق عليه، وأن يُسمّى بها. لم يكن يحب الألقاب ولا الكنى، كان يحب فقط أن يسمى المواطن عباس.

وهو يعرف ما تحمل كلمة المواطن من مسئوليات. لم يكن يغريه بها نغمها الحلو، وإنه لنغم جميل، ولم يكن يستحليه رنينها العذب، وإنه لرنين أخاذ، ولكنه كان يستحليها وينجذب إليه لأنها تحمل مسئولية ضخمة، عملا دائبا، تضحية بدون مردود، بذلا بدون فائدة، عطاء بدون ربح.

لم يسع في استثمار يستفيد منه، ولا في منفعة يجنيها. كان يعتقد أن العمل في حد ذاته هو الجزاء الأوفى، هو الربح والمردود. ولذلك انطلق إلى الشـــعاب الداكنة والجبال الخرساء باذلا جهده في سقي حقول لا يملكها، وحرث مناطق لا يستغلها، وإنما هو العطاء المحض والبذل الخالص لا ينتظر على ما يبذل جزاء ولا شكورا.

لم يذهب إلى حيث تتوفر الإمكانيات لجني الحصـــاد الوفير والســـريع حيث الفرص متاحة مغرية جذابة، بل ذهب إلى الجبال الصماء يضرب فيها بمعوله لتورق وعياً، وإلى الأرض القاحلة يضـرب فيها بمحراثه لتنبت فكراَ، وماذا سـتعطيه الجبال الصماء، وماذا ستمنحه الأراضي المجدبة من مردود.

فهو لم يذهب لاسـتثمار منجم، ولإنشـاء مزرعة يدران عليه ربحا وفيرا يسـتفيد هو وغيره منها، بل ذهب ليستنبت وعياً ويستورق فكرا يساعد الإنسان في أحلك ظروفه.

كان يعتقد أن العمل سواء أأخصب أم أجدب هو الجزاء الأوفى؛ فإن أخصب فجزاؤه أنه رأى الفكرة تأتلق على جباه الآخرين، وإن لم يثمر فالتجربة جزاء لعمل لم يثمر، وعليه تكرارها.

كان ‘‘عباس’’ يعرف إذن معنى كلمة المواطن، يعرف أنها رســـالة ينشـــرها، وضريبة يؤديها، عملا يبذله، لا مغنما يناله، ولا مكسبا يحصل عليه.

وكمواطن متوله في حب وطنه، فلم يكن يريد على ذلك جزاء ولا شـــكورا، بالرغم من ذلك حق له. ونحن نعلم أن ما من إنسـان إلا وهو يطلب مردودا لعمله: إما مجدا باذخا، أو زعامة على قومه.

أرأيت إلى هؤلاء الـذين ينـاضـــلون من أجـل حقوق شـــعوبهم ويُزجون في الســـجون، وتُوضـــع الأغلال في أعناقهم، وإذا بهم في النهاية زعماء لأمتهم قادة عليها؟

ألا ترى أنه قد حصـــد جهده مركزا مرموقا، وأمرا مطاعا؟ ثم أرأيت هذا العالم الكبير الذي بذل أيامه ولياليه في سبيل تحقيق فكرة كيف نال جزاؤه إما مالا عميما أو شهرة ذائعة.

ولكن ''عباس'' المواطن لم يهدف إلى جاه ولا شـــهرة ولا مركز. كـان كبير أخوته سـنا ومقاما، ومع ذلك فلم يهتم أن يكون الأول بل رضـي لنفسـه أن يكون عضوا مع الآخرين.

وكان غنيا في نفســه وفي ماله فلم يضــاعف مالا، ولا نقدا بل أنفق ما يملك، وبذل ما يدخر، عاف العاصمة حيث تُصنع الشهرة وحيث تتألق المكانة وتركها إلى واد ذي ثلاث شعب: صـخر حاد، وتراب كالرماد، وأناس كالصـخر قوة، وكالجماد عنادا.

رفض الوسـائل التي تطلق الشـهرة والألق حيث المذياع والصـحيفة والمنبر واتجه إلى الصمت المنعقد ينسج منه بوحا حيا، ونبعا ثريا.

وهكذا يبدو ‘‘عباس’’ على حقيقته طرازا رفيعا وفريدا. لا أقول ذلك انسياقا مع عاطفة لأنه أخي، بل أقول ذلك حقا لأنه أخي. أخي الذي عرفته في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، في الغضب والرضاء، في القرب والبعد، فما عرفته إلاّ متميزا في حالتي الغضب والرضاء، في الشدة والرخاء، في السراء والضراء. كان طرازا فريدا بالفعل. فهو قد نشأ في مناخ ناعم، وعاش في ظل حياة ظليلة، ومع ذلك فقد كان ناعما ولكن نعومة الصخر الأملس أشد ما يكون صلابة. كان أنيقا في مأكله ومشربه وملبسه ولكنه كان متواضعا أشد ما يكون التواضع، رؤوفا أشد ما تكون الرأفة، برا أعظم ما يكون البر.

ولقد أعجب من ذلك الأنيق الحالم ابن المجد السياسي والفكر العالي وهو يترك الظل الظليل، والمكانة العالية، والمأكل الناعم والملبس اللطيف إلى الخشونة الخشنة. كان نسيما ينشر عبيره، ويبث فوحه ومع المستعلين كان عاصفا يبث حممه..

كان صبورا متحملا في بيئة لا تدعو إلى كل ذلك الصبر فهو يعيش في كنف والده الكريم، كل شيء متاح وميسر. ومع ذلك فقد شب صبورا، وعاش صابرا، لا تفارق الابتسامة فمه حتى عندما تجثو عليه المصائب.

ذات يوم وكان عمره اقل من العاشرة وقع على شظية صخر مسنونة شقت جزءا كبيرا من فخذه لكنه لم يئن ولم يشكو. وما تزال ذاكرتي تتصوره وهم محمول

بين يدي حارسه مبتسما. ولولا أنه محمول حملا لما أحست بما حدث له، فالابتسامة لم تفارق شفتيه رغم الآلام المبرحة المتقدة.

لما وصل إلى البيت مشى على قدميه حتى لا يزعج أمه، ولكي يغالب الألم صعد وحيدا إلى السطح، فغلبته الحمى فأنّ؛ فنبه أنينه بعض المستخدمات فكلمن أمه فسعت إليه ملهوفة فوجدته حارا كالنار فاستدعت الطبيب فعالجه.

هذه الحادثة التي يضج فيها الصغار بكاء، ويبالغون فيها مبالغة شديدة ليكسبوا بها عطفا زائدا، أو حلوى لذيذة، أو مبلغا من المال، كما كنا نسعى عندما تصيبنا حمى بشواظها، أو يتناوشنا برد بزكامه، عندئذ نقبض ثمن العلاج بعض الحلوى اللذيذة، وإلاّ فلا علاج.

أما إذا كانت حقنة عضلية فإن الثمن يصبح غاليا. كنا نسعى إلى المرض لنقبض ثمنا.. أما عباس فقد كان يخفي أوجاعه حتى لا يكدر خاطر أبويه أو أخوته أو أحدا من الناس، ضاربا بكل ما يغري الطفل من أشياء.

وفي تلك الفترة من الزمان يمكن أن أسمي المناخ الذي عشنا فيه بشيء من التعسف مناخا يجمع بين المكانة العالية والتواضع، يتناول فيه الأمير المهيب غداءه مع مستخدميه جنبا إلى جنب، ويقعد معهم، ويتحدث إليهم كما يتحدث إلى كبار القوم، وهم قريبون منه لا يحجبه عنهم حجاب، وكان ''عباس'' يمثل هذه المكانة المتواضعة في تناغم منسجم وعجيب. ومع أرستقراطيته وذوقه الرفيع الأنيق كان يحب ألاَّ يلعب مع أبناء فئاته إن كان هناك فئات، ويفضل عليهم أبناء الجيران

البسطاء الطيبين فيلعب معهم حينا، ويتعارك معهم آونة، وينتصر طورا ويهزم طورا آخر فلا يتباهى بنصره ولا يشكو لهزيمته.

وعندما شب عن الطوق لم يكن يحب أن يعيش مع أمثاله من هذه الفئة الأرستقراطية، ولا يقيل مقيلهم، ولا يجلس مجالسهم، ولا يصغي إلى أحاديثهم، إنه ليسأم تكرار هذا النقاش، ويمل من هذه الأفكار الرتيبة المستعلية. كان يعتقده تكرارا من القول، وركودا في الفكر، وما كان يحب الركود، فكان يتنقل من هنا إلى هناك، يقعد أشهرا في ''المحويت'' ثم يغادرها إلى ''صنعاء'' ثم يتركها بعد بضعة أشهر إلى ''السر'' فلم تمض أشهر حتى يعود إلى ''المحويت'' وهكذا. وإنني لا أذكر كيف كان السفر ينقلون خبر تنقله. كيف يقطع المسافة التي يقطعها الناس في ساعات فيقطعها هو يوما كاملا، لا يمر بشجرة إلاّ ويقعد فيها فيتحلق حوله الرعيان، ولا يلم بمحطة استراحة ألاّ ويطيل فيها المكث فيتحلق حوله المسافرون، ولا يمر به عابر سبيل إلا ويستضيفه، وكان في أوقات كثيرة يستظل في جرف من الجبل، أو نفق من الأرض فيقيِّل ويستضيف أي مسافر عابر ليقيل معه. وكم كان الكثيرون يتمنون أن يجدوه في طريقهم فيصرفون معه الوقت ويصغون إلى حديثه العذب اللذيذ. وطالما سمعت تلك الأحاديث، وطالما تاقت نفسي أن أكون معه فاستروح نسماته واستظل بفيئه. وقد كدت أن أنعم بهذه الرفقة ذات يوم لكن لم يحالفني الحظ فشعرت بحزن شديد ما يزال مذاقه يقطر مرارة في فمي حتى الآن.

هذه الحركة الدائبة القلقة علمته الحياة، ووصـــلته البســـطاء من الناس، فعرف توجهاتهم الحقيقية، وبنى عليها خططه.

(3)

كان أخي ‘‘عباس" قد تأثر في وقت مبكر بأفكار والده الإصـلاحية، القائمة على حفظ الشـريعة النقية و "نظام الإسـلام الشـوروي الانتخابي، وتنظيف الحكم الزيدي مما عراه من انحرافات أهمها إلغاء ‘‘دولة اليمن الإســـلامية" -كما كانت تســـمى به عند قيام الحكم المتوكلي- وقيام ‘‘المملكة المتوكلية"، أي إلغاء ‘‘نظام الشورى" وإحلال "نظام الوراثة- ولاية العهد" محله. ومضى على تلك الرؤية حينا.

وفي أحدى زياراته لـــــ "صـنعاء " التقي بالشـهيدين "أحمد المطاع" و "عبد الوهاب نعمان" وعقدت بينهم صداقة عميقة، وكانا يقيلان معه في ‘‘دار الصياد’’ ويتبدلان الأحاديث حول الأوضـاع السـيئة وكيف طريق الخلاص منها، ومن خلال الحوار اطلع على معارضـة جديدة اسمها ‘‘القضـية الوطنية’’ فتأثر بها أيضـا، وعرف من خلالها شيئا يرفد الإصلاح الديني ولا يعارضـه، ويتماشى معه ولا يقف ضـده، فقد كان الشـــهيدان "عبد الوهاب" والمطاع’’ أيضـــا يتفقان مع نظرية والده الإصـلاحية، ويضـيفان إليها بعداً يمنياً، ولم تكن ‘‘الوطنية" بالشـكل الانعزالي الحاد الذي هي عليه.

إلى جانب ما استقاه من والده من معالجة الانحراف السياسي فيزداد علما بما حوله، أضـاف إلى ذلك كله ما سمعه من شـيخي الوطنية ‘‘احمد المطاع’’، و "عبد

الوهاب نعمان" فتكونت لديه معرفة متميزة: عرف ما عند الناس من تضـــليل ديني وغباء وطني، وعرف عن والده مخالفة الحكم الســـياســـي لنظام الشـــورى وظن أنه بهذين الجناحين سيحلق اليمن في آفاق المستقبل النقي، ولكن لا الإصلاح الديني ولا الوطني أثر في وعي الجماهير، وجاءت ''الثورة الدستورية'' لتؤكد ما بدأ يعيه.

أدرك أن عقلية المواطن العادي بقيت صـلبة لا تمتص حديث الأخطاء الدينية ولا الإصـــلاح الـديني، ولا التغيير الوطني، إن كلا التفكيرين لم يـدخلا في دمـاغ المســحوقين البســطاء؛ فالثورة الدينية يدركها النخبة، ولا يعرفها البســطاء الذين هم متخمون بالشــكلية، يرون الظلمة يصــلون ويصــومون ويحجون بل وقد يبالغون في الشعائر، فيكتفون بها ولا يسألون أنفسهم عما وراء ذلك من ظلم وتخلف. فلم تؤثر فيهم دعوات العلماء الثوار. والإمام يحيى له مكانة دينية تصل به إلى درجة القداسة وعندما قتل الإمام ''يحيى'' التهب حس الثأر للانتقام للإمام القديس عندما وجدوا القائد المهاب.

ولم تكن "الثورة الوطنية" أكثر حظا في تأثيرها من ســـابقتها، إنها في واد آخر تماما، ومن ثم بقي حس الجماهير المســـحوقة مقفلا غبيا كما كان. وكان الخطأ أن تلك الأفكار انحصـرت في الأفاق السـامية، والأبراج العالية بدون أن تلامس حس القاعدة العريضـة وتنورها. ومن هنا قرر عباس أن يعيد صـياغة وسـائله على منطق الثورة الدينية وعلى منطق الثورة الوطنية، وأدرك أن ترديد النظريات نوع من الركود، وهو لا يحب الركود. ونذر نفسه لمهمة أخرى كما سيأتي.

(4)

كان هناك إذن خطان متلازمان متناغمان، خط يضع أولوياته "وطن – إسلام"، وخط يضع ''إسلام –وطن''، وكلاهما متفقان، بيد أن أولوية أخي ''عباس'' يتمثل في خط وطن يتكيف وفق الإسلام الصحيح، وأولوية أخي ''إبراهيم'' يتمثل في خط إسلام يكيف وطنا، ولم يكن بين الخطين تنافر، وإنما كانت هناك حسابات أولويات، بمعنى آخر كان ''عباس'' يمثل ''رجل دولة'' يتعامل مع المكائد والتقلبات بيد مرنة تحاول توظيف ما يجري لصالح خطه، بينما كان ''إبراهيم'' يمثل ''زعامة شعبية'' صلبة، وأظهر التوجهان نفسيهما في أكثر من موقف، وإذ فضل ''عباس'' أن يضع مجال تعاونه في حدود قضية ومعتقد، فضل ''إبراهيم'' مجال تعاونه في حدود معتقد ومعتقد، من هنا عندما كان ''إبراهيم'' بالقرب من تخوم الاشتراكية– والاشتراكية أيضا معتقد– كانت العدالة الاجتماعية في الإسلام هي التي تدفعه في ذلك الاتجاه فيتقارب مع من يعتنق هذا الخط، بينما لم يكن ''عباس'' ليشترط المعتقد مع من يتعاون، وإنما الإخلاص والثبات في القضية المشتركة، سواء أكان الشخص شيوعيا أو رأس ماليا، يمينيا أو يساريا؛ فالإيمان بالقضية هي الجامع المشترك، ليس ثمة من شرط إلا الصدق والثبات وعدم التقلب للوصول إلى الشاطئ الموعود.

المصادر

- عبد الله بن علي الوزير رسالة إلى عبد الله الحكيمي
- عبد الواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية: الطبعة الثالثة١٤٠٢هـ /١٩٨٢م
- علي محمد عبده، لمحات من تاريخ حركة الأحرار في اليمن، صنعاء، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ومنتدى النعمان الثقافي للشباب، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ج١
- محمد زبارة، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة –الفاتح الشهيد، القاهرة: المطبعة السلفية بدون تاريخ ولا رقم الطبعة
- مركز الدراسات والبحوث اليمني ‘‘ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤشرات ’’. بيروت: دار العودة الطبعة الأولى ١٩٨٢م
- يحي زبارة، مذكرات يحي زبارة مجلة المسار العدد ١٦ –١٧

رثاء وعزاء

الأديب د. عبد العزيز المقالح

من لعين جفت من الاطراق وفؤاد يضج في الأعماق....

ولمن تشتكي الحروف لظاها وكرام النفوس في الاحتراق؟

يوم غاب النهار في النعش ملفوفا وغابت ملامح العملاق

يا له من يوم حزين الثواني دامع الفجر موحش الآفاق

رحلت نحو جنة الله فيه نفس حر مناضل سبّاق

فاتركوا الدمع جاريا وتعالوا نتساقى من نبعه الرقراق

في مصاب «العباس» يسترخص الدمع وينساب فيه نور المآقي

كان نفسا زكية وفؤادا عبقريا من السنى البراق

حمل الهم من صباه وعانى في سجون الإمام مر المذاق

***

يا أبا عبد الله عاجلك الموت وما زلت أخضر الأوراق

حاولت قهرك الخطوب فلم تقهر حفيد النسور والعشاق

عشقوا الفكر والنضال وصانوا في جلال مكارم الأخلاق

لست أنسى ابتسامة كنت تلقاني بها، لا ولا حميم العناق

كيف غادرتنا ومن حولنا الليل حقود، وحلمنا في الوثاق؟

تترامى بنا الهموم كأنا قطرات في زاخر دفاق

وحصاد السنين حفنة أشجا ن، ونهر من الدم المهراق

***

إيه آل «الوزير» يا أنجم الشعـ ـب، و يا صوت قلبه الخفاق

أنتم الطيبون أصلا وفرعا ونضالا في ساحة الانعتاق

لا يرو عنكم مصاب أليم وفراق، فكلنا للفراق

كم صبرتم على فنون من العسف وذقتم مرارة الارهاق

وحملتم عن شعبنا ألم الجرح وكنتم طليعة الاشراق

يوم كان الظلام شرعاً، وكان النور حلم الأرواح والأحداق

والمنايا موائل وسيوف البطش عطشى تغور في الأعناق

فإليكم مدامعي وعزائي من فؤاد على المودة باق

ذكريات ثلاثين عاماً

الأستاذ/ علي عبد العزيز فضر

إلى روح الفقيد الكبير عباس بن علي الوزير

لا شيء يوقظ عند الفجر أحزاني إلا رحيلك.. يا من عشت تلقاني

ببسمة.. كان في شوق يشع بها في كل مطلع فجر: قلبك الحاني

حسب الحياة على الدنيا: تعانقنا على الوفاء.. وحسب الواله العاني

أن الحياة قد استعصت على ملك قاس تحدّر من أصلاب طغيان

وأن كل كبير خالد ولقد.. حزت العظيم من الذكرى بعرفان

يا من تغادرنا فجرا وصار الى لقياك يبهر فجر العالم الثاني

مسعاك بالأمس أنسى كل ثاكلة أحزانها وتحدى كل شيطان

بلى تحدّيت من قد عاش منغمسا في طمس مكرمة أو هتك انسان

لما أحاط بنا غل الطغاة ولم تلح لعينيك الا قبضة الجاني

تألفت فيك روح العزم في شغف طاغ الى الموت في عطف وتحنان

فرحت تنبش للطغيان هاوية ورحت توقظ بأس العاثر الواني

حاربت كل انتهازي ومتجر بالحق.. مستهزئا بالحاقد الشاني

وعشت تغتنم الأوقات تدفعنا فيها لتحطيم أصنام وأوثان

من لي بقلبك – والآلام تعصرني لما لقيتك محروسا بسجان؟

وأنت تضحك والآمال عابسة لم تنهزم قط من حزن وحرمان

كأنما أنت مرصود ليوم غد تباركت فيك روح الهادم الباني

كنت الآباء وكنت الفخر في وطن أودت مفاتنه في ليل بهتان

وكنت نبع وداد يطمئن الى جواره كل ملهوف وحيران

حفظت رغم اختلاف القوم في شر ف عهد الصفيّين: عدنان وقحطان

ما كنت ألقاك الا غارسا ثقة أو حاصدا الما يلهو بانسان

ولم أجد فيك الا الجود منتشيا أنّى تلفت في أهلي وأقراني

إذا تذكرت فيك العزم أنطقني وان تخيلت فيك الوجد أشجاني

وكنت تلهمني قولا فتحمله جمرا – الى مسرح الطغيان – ألحاني

الله يومك محمولا تشيعه قلوب من ضمهم في الحب عهدان:

عهد الأخاء على سلم.. يضارعه عهد الجهاد على ظلم وعدوان

يا من تغيب عن الأنظار تحرسه عناية الله في سر واعلان

كعهدنا بك لم تبرح تواكبنا من خلف أستار نور الله عينان:

عين الرعاية في دنيا تناجزنا وعين مستقبل جنات عدنان

ما زلت ألحظ بين الناس مقعدنا فأين من مقلتينا الموعد الثاني؟

تسائل الشمس روح الأرض صادقة: متى.. وكيف ثوى قدّيس خولان؟

عيون «شمسان» ما زالت مؤرقة وجرح صنعاء في المأساة جرحان

وتسأل الشمس نفسي: كيف تتركه يمضي الغداة.. وهل ترضى بحرمان؟

صديق عمرك خلف الغيب قد شغفت به الحياة.. ولكن دون جثمان

حسب الخلود فتى وافا.. بعزته مدثرا.. مستمدا كل غفران

لما تجلت على الدنيا شهادته مضى بقلب الى الرحمن هيمان..

تسائل الشمس! لكن كيف تسمعني اذا نطقت.. سؤال الشمس أعياني

وكيف أنكر عجزي عن حفاظ أخي وكلنا هائم في عطف رحمان

حسب المنون شهيدا من ذخائرنا رأى الخلود.. فلم يحفل بأشجان

وكل خلق الى الديان مرتحل وكل من عاش محكوم بهجران

أما الألى لم يبالوا يوم رحلته بفقده.. فلقد باءوا بخسران

تقدست روح عباس بما صنعت لأمة بوأته قلبها الحاني

لسوف يسطع نور الحق مكتسحا في مرقص الشر ليل العابث الجاني

وسوف تطلق أهداف لنا حبست في الأرض ما بين تدجيل وخذلان

اني لأحفظ عهدا قد نذرت له نفسي ولست لآمالي بخوان

ويشهد الله ما كانت توجهنا الا العقيدة في حزم وايمان

وسوف يسعدني يوم يسود به على المكاره: أحبابي وخلاني

عباس – والقوم في ذكراك يحفزهم عهد التحرر من رجس وأدران–

أستودع الله في جنبيك قلب أخ ما ضاق يوما بأشواقي وأحزاني

صنعاء - ٣١ / ١ /١٩٨٠م

دمعة على زميل

الأديب الشاعر/ ابراهيم الضراني

علّل النفس في الزمان القاسي فالجراحات ما لها من آسي

علّل النفس ما استطعت فما من مهرب من خطوبها والمآسي

قيل لي: قد مضى زميلك «عباس» وقد ودّعوه في الأرماسي

قلت: أودى، قالوا: نعم ودفنّا شعلة المجد والندى والبأس

قلت: حقا لقد عرفتم وخير الناس لن يجهلوا خيار الناس

فلتعزي ذويه، ذوي الشرف الباذخ في المكرمات كالنبراس

ورثوا المجد عن «علي» وناهيك شهيدا به، وعن «عباس«

ذاك مني لهم وفي النفس شجو سوف يدري به ذوو الإحساس

عبرة جرى على رفات المحسن الكبير

الأمام العباس بن علي الوزير رضي الله عنه

الشاعر/ أحمد بن علي زبارة

هات ما عندك هات يا زمان الترهات

ما الذي خبّأته لي من مآس قائمات

كل يوم أتلقى منك غمزا لقناتي

هل انا يا دهر قلّ لي لك من شرّ العداة؟

ام حبيب لك يرعى الـ عهد في ماض وآت؟

ما الذي بيني وما بين لك قل لي من تراءت؟

***

آه من دهر عصيّ مولع بالنكبات

وليال حالكات بالمآسي زاحفات

ودموع سائلات وجفون ساهدات

وقلوب واجفات.. واجبات داميات

وجم الشعر وضاعت في لساني كلماتي

وجثى هولا يراعي في بناني العاثرات

كيف لي أسلو وقد غا ب إمام المكرمات

سيد ساد بني العا لم في بذل الصلات

عاش لم يحن له رأس لجبّار وعات

حارب الظلم صبياً وسواه في سبات

لا ولم تلهوه الدنيا بباء وحبّ الشهوات

يلمس الجرح بكفّ خُلقت للحسنات

كم مبرّات له في الـ ـشعب تبدو ساطعات

وجهود مشرقات.. ... واياد سابغات.....

دأبه اصلاح ما أفـ ـسده حكم الطغاة

وبأن يتساوى الـ ـناس في هذي الحياة

لا ظلوم همّه الكسـ ـب ولوع بالفتات

او فقير عضّه الجو ع اسير الحسرات

يرأب الصدع ويسعى في صلاح وثبات

ماله حرّ طليق للأيامى الشاكلات

***

هجر الاهل شفيقا ببنين..... وبنات

وبأحباب أعزّاء وبإخوان سراة

ومضى يسعى لإصلا ح فئات ساخطات

واستطاب العيش حُرّاً بين اقوام قساة

همّه اسعاد مظلو م وقسر لبغاة

لم يعُز بالا لأسقا م توالت عاتيات

فأتاه داعي الله فلبّى الدعوات

فحباه الله رضوا نا وأعلى الدرجات

وتلقته حسان الـ ـخلد بضّاً ناعمات

قاصرات الطرف أبكا را وحورا ثيبات

والهات مضّها الوجـ ـد اليه شيّقات

فهنيئا لك يا خير أخ جمّ الصلاة

فعزاء اهله اهـ ـل الندى والمكرمات

***

انتموا الناس ومنكم خير قوم ودُعاة

إن يمُت منكم عظيم ومضى بالصالحات

فلقد خلّف إخوا نا هموا خير رعاة

ذاك شعري ورثائي صغته من عبراتي

دمعة أسى

الشاعر القاضي/ أحمد حمين الصرفي

مرثاة السيد العلامة المغفور له العباس بن علي الوزير

تغشاه الله بواسع رحمته

نهايات الوجود إلى الفواتِ وغايات الحياة إلى الممات

وان المرء يحيا ثم يفنى ولن تفنى أعاظيم الصفاتِ

وموت العبقري حياة مجدٍ جديد في لغات الذكرياتِ

وما التاريخ إلا ذكر ميتٍ تسامى في أجلِّ المكرماتِ

وذكر المرء عمر ليس يفنى وان فنيت أحاسيس الرفاتِ

وقد يمضي العظيم إلى فناءٍ ولكن مجده ماضٍ وآتِ

بموت الجسم تحيا الروح دوماً على مرِّ السنين العابراتِ

وان الموت لا يخشى عظيماً ولم يخضع لمجد الأبهاتِ

بلاسمة تداوي كل جرحٍ وفي أنفاسه ري الشكاتِ

على كفيه تطرح الرزايا واثقال النفوس الموجعاتِ

وفي أظفاره طب المآسي وفي فكيه ترياق الحياة

وكم يستوثق الانسان حتى يلاقي الغدر في طي الثقاتِ

لئن أودت بعباس المنايا فما ماتت محاسنه اللواتي

غمرن المجد إعجاباً وفضلاً وذكراً طار في كل الجهاتِ

وداعاً يا أخا العليا وداعاً وداعاً مفعماً بالذكريات

مضيت لبيتك الباقي نقياً غسيلاً كالسحاب الممرعات

وسرت إليه في أبهى المجالي وأكفان التقى والصالحات

تودعك القوافي عن لساني وداع القلب أحلى الأمنيات

وان خلَّفت أحزاناً ثقالاً فخطبك فوق أدهى الحادثات

ولن تشفي الدموع وإن تهاوت بحبات القلوب الباكيات

ولا يجدي عليك الحزن لكن تعابير الأسى أسمى اللغات

لقد ألقيت جرحاً فوق جرحٍ وداويت الأسى بالمحزنات

وزدت على هموم القلب هما جديداً سرمدي المعضلات

فسر يا نازل الفردوس واهناً جوار الله والظل المواتي

وصبراً يا ذوي المغفور صبراً وان جل المصاب على الثباتِ

لكم في صارم الإسلام ظل ظليل لا يصم عن الدعاةِ

وفيه والد منكم رحيم اليه ينتمي مجد الأباتِ

١٧ / صفر / ١٤٠٠ هـ

آل الوزير عزاء في أعز أخ

الشاعر/ عباس المطاع

لا عزَّ بعدك يا «عباس» لي قلمُ

لم يبكِ فيه عليك الشعر والنغمُ

ولا حييت مطاعاً إن عصاني في

رثاءك الدمع والتسهيد والألمُ

وكيف أنساك؟ أو أنسى عليَّ يداً

طولى، لها في كياني منبر وفمُ

لقد بلوتك والأحداث ترمقني

شزراً، وواقعها بالناس يصطدمُ

فكنت أوّل إنسان يجفُّ به

دمع العيون وجرح القلب يلتئمُ

هيهات أنسى لك المعروف في زمني

وقد تحكَّم منه في العروق دمُ

يا حاطماً لقيود الظلم ألبسني

مُصابك اليوم قيداً ليس ينحطمُ

أقسمتُ ألا أبالي بالخطوب وما

أن جلَّ خطبك حتى أخفق القسمُ

فاهنأ بموتك واتركنا نعش أسفاً

عليك يسحقنا الاحساس والسقمُ

كأنني بك – والفردوس يجمعنا –

تختال في عمرك الثاني وتبتسمُ

آل الوزير عزاء في أعز أخٍ

لفقده كاد ظهر المجد ينقصمُ

فأنتم الخلف الأسمى له ولمن

من الأعزاء فينا اغتاله العدمُ

نشيد القمم

المفكر الأستاذ/ زيد بن علي الوزير

إخوتي أبعد أمنا وأبينا

لحق الركب «خامس» الراحلينا

فـ «أبي» غاب ذات ليل بهيم

قد أفقنا.. فلم نجده لدينا

اخبرونا بأنه أوغل السير

بعيداً.. ولن يعود إلينا

قد قضى باسلاً ومات شهيداً

وغدى قدوةً ونهجاً مبينا

زجرت حولنا الخطوب الرهيبات

وسأت فعلاً وجنت جنونا

عصفت كالوبا الحطيم والموت

بحقول الروبيع: زهراً جنينا

صوحت وردة.. أضاعت رواه

تركت أيكةً حصيداً طحينا

لم تغادر.. حتى أبادت نفوساً

وأزالت معاقلاً وحصونا

واجهتنا.. كنا صغاراً.. فلم ندرِ

لماذا هبت؟ وماذا جنينا

لم نجد ملجأً أميناً.. فكانت

«أمنا» ملجأً وركناً ركينا

وقفت كالجبال تحجب عنا

عاصف الحزن والعذاب المهينا

لم ينل ما اراد منا.. و «أمي»

لبست للجهاد درعاً متينا

دخلت حومة الصراع لكيما

تصرف «الرعب» نحوها.. وتقينا

كافحت وحدها الاعاصير حتى

اخرجتنا من هولها اجمعينا

بيد أن المنون ألقت حبالا

قنصت «أختنا» غداة التقينا

رب رحماك فالمصائب تترى

مقبلات من كل صوب إلينا

كلما خف بارقٌ لمع الأفق

بشانٍ وانهال قصفاً علينا

ومضت أمنا تسير على درب

أبينا ونهج المؤمنينا

حملت بعده الرسالة والاصرار

والعزم و «الرجاء» الطعينا

أرضعتنا الكفاح ثم تولت

لحقت، بعد فترة، بأبينا

ذلك، يارب، في سبيلك فارحم

يا الهي كفاح أم البنينا

و «أخونا» الكبير ولى بعيداً

شردته عواصف الجائرينا

أفلت الصقر من شراك المنايا

وتعدَّى مكايد القانصينا

حملته الرياح: غاب وراء الأفق..

عشنا نسائل العابرينا

أين ولى؟ وأين حطت خطاه

أين أرْسى؟ تراه أين؟ وأينا

خيم الصمت لا جواب.. ولكنَّ

تمتمات الظنون صارت يقينا

انهكت خطوه الرياح العواتي

أتعبت ريشه القوي المتينا

سقط الصقر بعد أن مزَّق الأغصان

أكتافه فخرَّ ثخينا

وأتى الفارس الجريح وفي عينيه

تبدو رسالة السابقينا

وعلى كفه بقايا جراحات

الضحايا وقسوة الذابحينا

وعلى ثغره ابتسامة حرٍّ

هزت بالطغاة والظالمينا

حمل الجرح فوق كاهله الضخم

ولاقى من العذاب فنونا

قد تلقى «الرجاء» العظيم بحزم

وثبات، فكان براً أمينا

حلَّق النسر في الأعالي وخلى

السفح للمترفين واللاعبينا

قنعوا بالتخليق فوق بحيرات

أسانٍ حتى غدوا آسنينا

لم يكلَّ الجناح يوماً على حين

تهاوى الجناح بالآخرينا

آه «خولان» هل فقدت الامينا

والأ خ البر والصديق المعينا

ترك الأهل والبنين فكنت

الأهل والمال والهوى والبنينا

جبل اللوز ما تزال خطاه

مثل خطو الكليم في طور سينا

رائد الخير ما يزال صدًى المعول

يفري الطريق للسالكينا

و «سهام» الرّجال.. سهمك ما زال

وفياً كما عهدنا مكينا

حيثما سار ينبت الحب والخبز

كما ينبت الثرى الياسمينا

مَن لخولان عندما ينكأُ الثأر

جراحاً ويستبر الديونا

لست في موقفٍ أعدِّد

أمجاداً وأروي بدائعاً وفنونا

حبه دمعة اليتامى، وأنات

الثكالى وصرخة البائسينا

وعويل الصلاة، في هدأة

الليل، ونوح الدعاء للبائسينا

وابتهاج الطغاة لما توليت،

فقد كنت نقمةً ومنونا

الجماهير حول نعشك تبكي،

تندب الفجر والصباح الدفينا

كشفت عقم صمتهم وأبانت

زهو تضليلهم وما يدعونا

قد تساميت فوق فوق مجال الظن

حتى غدوت أفقاً مبينا

وتجاوزت معطيات الخيالات

فأصبحت قدوة الباذلينا

تحفظ الشامخات ذكراك عهداً

والذرى الشم تحفظ العهد دينا

أخوتي ان يكن مضى ويقينا

فعلى الدرب والخطى سائرونا

قصة لم تنزل.. وفصل طويل..

لم يكمل.. وموقف لن يلينا

كتبت بالدم الشهيد وصيغت

بجراح الأباة والخالدينا

قد حوت بين دفتيها فصولا

لم يرتل مثلها القارئونا

ضربت للكفاح أمثولة الصبر

وأزرت بصولة الجاحدينا

كتب الله أن نمرَّ كما مرُّوا

كراماً ونردف السابقينا

سوف لن يرجع العقوق خطانا

أو يردَّ الجحود عزماً حصينا

قد سفكنا من الدماء غزيراً

والدم الحر يحفظ الثائرينا

وطني هذه قرابين حبي

فوق نعش العطاء حيناً فحينا

أخوتي أخوتي ثباتاً متينا

وخضوعاً لخالق العالمينا

غاب عنا والليل يوشك أن

ينجاب والفجر كاد أن يستبينا

فثت خطوها الأشعة حسرى

باكيات الضياء تهمي حنينا

لم يعد بعده الشروق إلى الأرض

فقد أطفأ العُصاب العيونا

همسات النسيم صارت شهيقاً

وهديل الطيور عاد أنينا

والتلال الخضراء أضحت هشيماً

والينابيع صرن وحلاً وطينا

فقدت سرَّها الحياة فأضحت

عدَماً مائلاً.. وكماً مهينا

أخوتي.. أخوتي حناناً وصبراً

وخضوعاً لخالق العالمينا

العباس الذي غادر السياسة لخدمة المجتمع!

محمد علي المطاع

في بلد دأب فيه احراره على ان يرتقوا بشعبهم الى مصاف العلم والمعرفة بإيجاد او صـــناعة عقد اجتماعي يكفل للمواطن حقوقه ليتســـاوى كل افراد المجتمع في الحقوق والواجبات تضـمن حق الحصـول على الخدمات والرعاية الصـحية والتعليمية والاجتماعية وهي من الاهداف التي يسـعى اليها الكثير من الشـرفاء المحبين لوطنهم وشعبهم..

ولكن مما لا شـك فيه ان متاهات العمل في الشـأن السـياسـي من كثير ممن يعملون فيه وليس لهم هم ســـوى التربع على عروش المصـــالح الذاتية الانانية التي ســـتحيل نتائج عملهم في الســـياســـة الى قمع وارهاب وتنكيل وكوارث يتحملها المواطن ويعاني منها الوطن ويتأثر الشرفاء منها نفسيا ومعنويا..

وهذا الامر عانى منه الكثير ممن عملوا في الشـأن السـياسـي ممن كانوا يحملون رؤى وبرامج ذات طابع تنويري يهدف الى الارتقاء بالإنسـان ليكون وسـيلة للتنمية واقامة النظام الذي يضمن الشورى في الامر والخير في الارض والعدل في المال..

ومن هؤلاء الافذاذ المجاهد المرحوم العباس بن علي الوزير الذي شارك اشقائه المفكر الاسلامي العظيم المرحوم المجاهد ابراهيم بن علي الوزير والاستاذ زيد بن علي الوزير ـ امده الله بالصحة ـ والاستاذ القاسم بن علي الوزير ـ رحمه الله ـ الجهاد في سبيل ايجاد عقد اجتماعي يحفظ للوطن سيادته وللمواطن كرامته وعزته وفق رؤى فكرية اسلامية تواكب العصر..

العباس ورغم عمله الجاد والمثابر في المجال السياسي ارهقته مواقف المتمصلحين الباحثين عن مصلحة (الانا) بعيدا عن مصالح الوطن والشعب الى الحد الذي اوصله الى الاعياء واكتساب الامراض والاسقام التي استمر يعاني منها لفترة طويلة..

هذه العقبات دفعت المجاهد المرحوم العباس بن علي الوزير الى اعتزال العمل في الشأن السياسي الوطني الذي لم تمكنه عقبات ونكبات المصالح الانانية من انجاز ما كان يؤمن به..

توجه العباس ـ رحمه الله ـ الى ميدان آخر توسم انه سيحقق فيه شيئا مما عجز عن تحقيقه بالعمل السياسي وكان له ذلك.. توجه العباس الى الالتحام المباشر بالمواطنين في الاماكن الاكثر معاناة من الحرمان والفقر والجهل.. دعا المواطنين ان يمدوا ايديهم مع يده لشق الطرق وبناء المدارس واقامة مشاريع المياه والخدمات الصحية..

لم يكتف المجاهد العباس بن علي الوزير ــ رحمه الله ــ بذلك.. بل دأب على حث ابناء القرى النائية على اكتساب العلم وقدم لهم الدعم والرعاية واستفاد من دعمه العديد من ابناء القرى الريفية التي حرمت من التعليم لسنوات طويلة.

سعى المجاهد العباس الوزير الى التصدي للعديد من المشاكل التي كانت تقوم بين بعض القبائل وتوصلهم الى حمل السلاح ضد بعضهم البعض وشارك في العديد من حل الخلافات.. واستمر نشاطه هذا بوتيرة عالية الى الحد الذي دفع فيه حياته وهو يحاول حل ذات البين بين بعض القبائل.. وبينما كان في احدى المناطق النائية يحاول حل خلاف بين اهلها اصيب حينها بوعكة صحية فارق على إثرها الحياة نتيجة عدم سرعة اسعافه لتلقي الرعاية الصحية المطلوبة..

كان العباس بن العلي الوزير اثناء تواجده في صنعاء وفي منزل والده الامير علي بن عبد الله الوزير الكائن في حارة الصياد ببير العزب ملاذا للعديد من المحتاجين والفقراء الذين كانت تزدحم بهم الحارة ولم يبخل عليهم بشيء مما اعطاه الله.

رحم الله الوالد المجاهد المرحوم السيد العباس بن علي بن عبد الله الوزير رحمة الابرار واسكنه مساكن الاخيار والصديقين الابرار..

العباس الوزير ومآثره الحسنة في خولان

ناجي صالح حمس داوود السهي

بخلاف ما دأبت عليه النخبة السياسية من إقامة واستقرار في المدن وبالذات العاصمة السياسية، والعمل من خلال الرافعة المدنية بهدف الإصلاح والتغيير، رأى الراحل عباس بن على الوزير وهو من قيادات اتحاد القوى الشعبية أن التنمية الحقيقية تبدأ من الريف حيث القاعدة الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في التغيير، وإن كانت أحيانا تشكل العقبة الكأداء أمام التحديث من المنظور الثقافي والاجتماعي .

ربما من هذا المنطلق اتجه عباس الوزير إلى القبائل المجاورة للعاصمة صنعاء، واختار خولان ذات الصلة الوثيقة جغرافيا وقبليا بمديرية بني حشيش مسقط رأس الهجرة من آل الوزير الكرام. ومن جبل اللوز إلى جبال بني ضبيان أشرف العباس على تنفيذ الطرق وتعبيدها بما يساعد على تسهيل حركة التنقل بين القرى المتباعدة، ويربطها بالطرق المؤدية إلى الحضر والمدن الرئيسة وصولا إلى العاصمة صنعاء. وكأنه

كان يخطط لاختراق العزلة التي كان يعيشها الآلاف من أبناء القبائل، وهم محرومون من كل وسائل التواصل بالعالم الخارجي.

نتحدث هنا عن فترة الثمانينات حيث كانت معظم مناطق خولان معزولة عن التحديث المحدود الذي عرفته المدن اليمنية الرئيسة في شمال وجنوب اليمن، حيث انعدمت الطرق والكهرباء والاتصالات والخدمات الصحية ولم يعرف الناس معنى للدولة إلا من خلال بعض المدارس الحكومية التي كانت نافذة الأمل الوحيدة لشباب القبائل. ومع ذلك فقد كانت الحاجة إلى المدارس كبيرة وخاصة في بعض المناطق النائية وذات التضاريس الجغرافية الصعبة مثل بني ضبيان، التي بنى فيها العباس مدرسة لتعليم الأولاد.

وفي السهمان –وهي من قبائل ومناطق خولان– لاحظ العباس مشكلة الجفاف التي تعيشها المنطقة، فأعطى الألوية لحفر بئر مياه بالطريقة الحديثة، وكانت تلك أول بئر (ارتوازية) تعرفها المنطقة، وقد خففت من أعباء ومشقة الحصول على مياه الشرب، ثم رأى أهل المنطقة أن يتوسعوا في هذه التجربة من خلال حفر بئر ارتوازية للري والزراعة، وبنفقتهم الخاصة، وبهذا كانت مبادرات العباس ملهمة للمجتمع، الذي لم ينتظر الحكومة حتى تقوم عليها من واجبات، بل بادروا بأنفسهم للقيام بما أمكن من أعمال تنموية ارتد أثرها الإيجابي على حياتهم ومعيشتهم.

هكذا اشتغل العباس على ثلاث ركائز للتنمية الريفية: التعليم، الطرق، والمياه. وكان في همته ونشاطه وفي إحسانه للناس من خلال هذه المشاريع الأسوة الحسنة

التي تجذرت في وجدان المجتمع القبلي الريفي، الذي ازداد وعيا بأهمية الانفتاح والتحديث والخروج من العزلة، بل وأدرك الناس أن ثمة فرق كبير بين الأفكار النظرية وبين المبادرات العملية، وأن العمل هو أكبر سلاح يمكن للقبيلي أن يتمنطقه إن أراد حلولا واقعية لمشكلات أهله وناسه ومجتمعه.

غير أن الأمور لم تكن سهلة على هذا النحو، فما تحتاجه القرى المتناثرة بين صنعاء ومأرب، هو أكبر من قدرة الأفراد والمجتمعات المحلية، ولأن العباس كان ينفق على هذه المشاريع من أمواله الخاصة، فقد كان بحاجة إلى مؤازرة مجتمعية وحكومية وهذا ما لم يتوفر في حينه.

إضافة إلى ذلك، كانت العادات والتقاليد القبلية في بعض جوانبها السلبية من المشكلات المستعصية، التي كانت ولا تزال تعترض مشوار التحديث، وتحول دون بناء المشاريع المشتركة، فالأرض ملكية خاصة للأفراد، واستقطاع أجزاء منها للصالح العام مسألة شاقة وغير متاحة في كثير من الحالات، إضافة إلى الحدود القبلية الجغرافية، التي نجم عنها ثارات لعشرات السنين.

وكان الثأر بين قبيلتي السهمان وبني ضبيان مستعرا حين قدم العباس الوزير إلى مناطقهم، وبرغم أن أبناء القبيلتين استجابوا للمبادرات ولمحاولات الصلح التي عرضها العباس إلا أن النتائج فيما يتعلق بقضية الثأر لم تصل إلى الخاتمة المرجوة، وكانت المأساة أن تعقيد هذه المشكلة كانت سببا في وفاة الوزير، الذي كان يعاني من مرض السكري وقد كان داء قاتلا في تلك الفترة.

ما يعني أن العباس كان يسابق الزمن من أجل خدمة المجتمع والإصلاح بين الناس، حتى وإن كان ذلك على حساب صحته التي لا شك أنها تأثرت بالواقع المتردي في هذه المناطق وبعض العصبيات الجاهلية التي ما تزال مخيمة في مفاصل الحياة الاجتماعية لأبناء القبائل.

لم يدبج الخطب والكلمات والأشعار، لكنه قدم القدوة الحسنة للمجتمع إذ كان من يتقدم الناس في العطاء بماله وعرقه، وقضى سنين من حياته مخيما في رؤوس الجبال وبطون الأودية، متابعا للأعمال، ومصلحا بين الناس، ومواسيًا لفقير ومهموما بيتيم، حتى وافاه الأجل، فبكته القلوب، وشيعته الدموع، ولقي ربه في زمرة المؤمنين الصادقين، وحسن أولئك رفيقا.

العباس بن علي الوزير.. الشخصية العظيمة

محمد ناجي أبو راس

أشعر بالفخر عند الحديث عن شخصية عظيمة كشخصية المغفور له عباس بن علي بن عبدالله الوزير تغشاه الله بواسع رحمته وأسكنه جناته فقد كنت أحد مرافقيه في جانب من حياته أثناء العقد السابع من القرن الماضي عندما قرر الخروج إلى بلاد خولان لمشاركة أبنائها في همومهم ومشاكلهم وفتح مشاريع الطرقات في أرضهم الوعرة وقد ترك رغد العيش في بيته بالصياد ليعيش حياة البدو والرحل في شعاب وجبال خولان وقام بشق عدة طرق فيها منها طريق المربك بني سحام ثم طريق المؤدية من شاحك إلى رأس وادي السر ومن جنوب تنعم نحو قرية قروى وبني شداد ثم شق طريق من السهمان إلى بني ضبيان إلى محل يسمى نبعه.

إلى جانب ذلك قام بشراء حراثة وجعل عليها يحيى الهمداني لمساعدة المزارعين من بني سحام والمربك لحرث أرضهم بدون مقابل.

كما قام بحل عدد من القضـــايا العالقة بين القبائل ومنها قضـــايا ثأر مع الإحاطة أن آخر خط قام بشـقه وفتحه هو خط السـهمان بني ضـبيان وهو خط استفاد منه قبائل السهمان وقبائل الأعماس وبني ضبيان.

وكان كل ما قام به نابع من جهد شـخصـي لم تقم الدوله بدعمه بأي شـيء، وكان صـاحب السـيرة رضـوان الله عليه قد أختاره الحق سـبحانه وتعالى أن يسـتريح بصورة دائمة في جنات النعيم مع النبيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين بدلاً من الجهد الذي كان يقوم به والحياة الخشـــنه التي كان عليها في تلك الجبال والوديان. رحمة الله تغشاه.

لم يذهب العباس إلى حيث تتوفر الإمكانيات لجني الحصاد الوفير
والسريع حيث الفرص متاحة مغرية جذابة،
بل ذهب إلى الجبال الصماء يضرب فيها بمعوله لتورق وعياً،
وإلى الأرض القاحلة يضرب فيها بمحراثه لتنبت فكراً

المفكر الاستاذ زيد بن علي الوزير
رئيس المجلس الأعلى
لاتحاد القوى الشعبية